الفصل الثاني

هؤلاء يحبهم الله ﷻ

حقيقة الأمر أنك لا تجد خيراً إلا والله ﷻ قد أمر به لأنه يحبه ويحب أهله ماداموا عليه قائمين ومخلصين ومتبعّين لامبتدعين، ولكّنا إذا أردنا أن نعرض لكل أبواب الخير فإنّا لا شك نسلك بذلك دربـاً من دروب المستحيل فلا يحصى الخير كله إلا الله ﷻ، لكنّا نعرض بشيء من الإيجازلبعض الصفات التي أخبر الله ﷻ أنه يحبها ويحب أهليها بصريح القول من القرآن الكريم، فقد أخبر جل وعلا أنه يحب:

المحسنين... والمتقين... والتوابين... والمتطهرين.

والصابرين... والمتوكلين... والمقسطين... والمجاهدين.

ومن يتبع نبيه ورسوله محمد ﷺ

ثم بعد هذا العرض ننظر في أنفسنا أنحن من هؤلاء الذين أحبهم الله ﷻ وبأي درجة، ثم نسأله جلّ وعلا أن نبلغ في هذه الصفات الدرجات العلى... ثم نسأله التثبيت حتى نلقاه وهو لنا محب وعنّا راض، فقد قال رسول الله ﷺ:**"والله لا يلقي الله حبيبه في النار** - [1].

* * *

(1) رواه الحاكم وصححه الألباني 7095 ص.ج.

الله يحب المحسنين

قال تعالى:{وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ} [البقرة: ١٩٥].

وقال تعالى:{ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: ١٣٤].

وقال تعالى:{لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ} [المائدة: ٩٣].

وقال تعالى:{وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: ١٤٧ - ١٤٨].

وقال تعالى:{وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ} [المائدة:١٣].

وقال رسول الله ﷺ:**"إن الله تعالى محسن يحب الإحسان -** [1].

وقال ﷺ:**"إن الله تعالى يحب العامل إذا عمل أن يحسن -** [2].

وقال ﷺ:**"إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته -** [3].

وقال ﷺ:**"أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقا -** [4].

وقال ﷺ:**"إن من أحبكم إليّ وأقربكم منّي مجلساً يوم القيامة أحسنكم**

---

(1) صححه الألباني في صحيح الجامع 1823.
(2) رواه البيهقي في شعب الإيمان وحسنه الألباني 1891 ص.ج.
(3) رواه مسلم.
(4) رواه ابن حبان وحسنه الألباني 1176 ص.ج.

أخلاقا - [1].

والحسن هو ما حسنّه الشرع لا ما حسنه العقل، وما حسنه العقل السوي مما لم يرد فيه نص شرعي... فما رآه الشرع حسناً فهو حسن وما رآه غير ذلك فهو إلى ما قال، والإحسان يسع كل شيء من أمر الدين والدنيا جميعاً فإن كان فيما لا يظن أنه مأمور به فيه وهو الذبح كما في الحديث الذي أسلفنا فإنه في غيره أولى وأوجب، فالمسلم يجب أن يكون شأنه الإحسان في كل شيء ويتحرى لذلك ويجتهد ما وسعه الاجتهاد فإن كان قولاً فليكن بالحسنى قال تعالى:{وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا} [البقرة: ٨٣].

وقال تعالى:{ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [الإسراء: ٥٣].

وإن كان اتباعاً لقول فليكن للأحسن قال تعالى:{ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ } [الزمر: ١٨].

وإن كان دفعاً فليكن بالأحسن قال تعالى:{ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ } [فصلت: ٣٤].

وقال تعالى:{ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ} [المؤمنون: ٩٦].

وإن كانت دعوة إلى الله ﷻ فبالحسنى قال تعالى:{ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ } [النحل:١٢٥].

وإن كان جدالاً فبالحسنى قال تعالى:{وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ } [النحل: ١٢٥].

وقال تعالى:{وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ } [العنكبوت: ٤٦].

وإن كان أداءً فليكن بالحسنى قال تعالى:{فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ } [[البقرة: ١٧٨].

(1) رواه الترمذي وحسنه الألباني 2201 ص.ج.

وإن كان رداً لتحية فليكن بالأحسن قال تعالى:{وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا} [النساء: ٨٦].

وإن كان تسريحاً فبالحسنى قال تعالى:{ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ} [البقرة: ٢٢٩].

وإن كان قرباً من مال يتيم فبالحسنى قال تعالى:{وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ} [الأنعام: ١٥٢].

وإن كانت شفاعة كانت حسنة قال تعالى:{ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ} [النساء: ٨٥].

وإن كانت أسوة فلتكن أحسن أسوة قال تعالى:{ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب: ٢١].

وذلك أن الناس لا غنى لهم عن الإحسان ومن ثم فإن الله تعالى قد أمر به بعد ما أخبر أنه يحبه، قال تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل: ٩٠].

فليس كل الناس يقنع من الناس بالعدل إنما يطمعون منهم في الفضل... يطمعون في الإحسان حتى وإن لم يكونوا من المحسنين.

ومن ثم كان أمر الله ﷻ بالإحسان في كل قول أو فعل... لكل قريب أو بعيد... لمن هو أهله ومن ليس له بأهل. فالإحسان من أقرب السبل الموصلة إلى حب الله تعالى فإنه سبحانه يحب المحسنين وهو كذلك من أقرب السبل الموصلة إلى حب الأسوياء من الناس فقد قيل قديماً:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم ::: فلطالما استعبد الإنسان إحسانُ

أما حب الله ﷻ للمحسن والذي عليه مدار حديثنا فلأنه ﷻ يحب الذي يتصف بمقتضيات صفاته، فالله ﷻ قد أحسن في خلق الإنسان تمام الإحسان، قال تعالى:{لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} [التين: ٤].

وقال تعالى:{فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ} [المؤمنون: ١٤].

وقال تعالى:{ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ} [السجدة: ٧].

وقال تعالى:{صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ} [النمل: ٨٨].

ومن ثم فالمسلم مطالب أن يتخلق بهذه الصفة الطيبة.

قال تعالى:{وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ} [القصص:٧٧].

وقال رسول الله ﷺ:**"إن الله تعالى محسن فأحسنوا** - [1].

فأحسن في كل أحوالك وفي كل أعمالك... أحسن فيما تأتي وفيما تدع... فيما تقول وفيما تفعل

أحسن في شأنك كله ما استطعت... فإحسانك لنفسك وإساءتك عليها.

قال تعالى:{إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ} [الإسراء: ٧].

وقال ﷺ:**"إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يكتب له عشرة أمثالها إلي سبعمائة ضعف وكل سيئة يعملها يكتب له مثلها حتى يلقي الله** - [2].

فالذي يحاسب على الأعمال خبير بصير... يعلم إحسان المحسن وإساءة المسيء، يعلم جهد المخلص وتقصير المقصر... يعلم السر وأخفى

فلو تعلم فإن الناقد بصير، وبعباده خبير، ولا يخفى عليه نقير ولا قطمير، ولا صغير ولا كبير، فإذا ما علمت ذلك عبدت الله تعالى كأنك تراه وما الإحسان إلا ذلك، فكيف بعمل تعمله وأنت على يقين أن الله ﷻ يراك ويسمعك، لابد وأن يكون العمل حسناً، ولابد وأن يكون العامل محسناً، وكفى بمن هذا شأنه أنه يجعل القلوب قبل الألسنة تهتف بكلمة " الله " عندما ترى الشيء الحسن. فالنفوس السوية جبلت على حب الجمال

(1) صححه الألباني 1823 ص.ج.
(2) متفق عليه.

ولن يتأتى الجمال إلا من الإحسان.

ولكن واأسفاه... فكم من مسلم أساء في إسلامه أو أساء إلى إسلامه وما كان ينبغي له ذلك... فالمسلم من حسن إسلامه ثم أحسن فيه قال تعالى:{ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } [البقرة: ١١٢].

وقال تعالى:{وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ } [لقمان: ٢٢].

واعلم أنه ما من كفارة للإساءة إلا الإحسان فقد قال رسول الله ﷺ: **"إذا أسأت فأحسن -** (1).

وقال ﷺ:**"أتبع السيئة الحسنة تمحها -** (2).

وقال الله تعالى:{وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ} [القصص: ٥٤].

وقال جل وعلا:{إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [النمل: ١١].

فالأمر لا يتوقف عند مجرد ظاهر الإسلام وحسب ولكنه يتعداه الى جوهره... الى كل ما يحسن الإسلام به من قليل أو كثير، ومن قريب أو بعيد.

فإن تشتغل بنفسك عن الناس فذلك من حسن إسلامك، فقد قال رسول الله ﷺ:**"من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه -** (3).

وإن تقض ما عليك بأحسن ما تحب أن يقضى إليك فذلك من حسن إسلامك، فقد قال رسول الله ﷺ:**"خياركم أحسنكم قضاءً للدين -** (4).

(1) رواه الحاكم وحسنه الألباني 317 ص.ج.
(2) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.
(3) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.
(4) متفق عليه.

ثم ترقى وترقى إلى أن تصل بحسن خلقك الى درجة الصوّام القوّام، فقد قال رسول الله ﷺ:**"إن المسلم المسدد ليدرك درجة الصوّام القوّام بآيات الله بحسن خلقه** - [1].

ولنا في النبى ﷺ الأسوة الحسنة فقد كان شأنه كله الاحسان إذا قام أحسن القيام.... وإذا صام أحسن الصيام وإذا صمت كان صمته حسنا بكونه فكراً، وإذا تكلم كان نطقه حسنا بكونه ذكرا وكان حسناً في مأكله.. حسناً في مشربه.. حسناً في ملبسه.. حسناً في كل ما يأتي وكل ما يدع.

فمع كونه أحسن الناس أخلاقًا إلا أنه كان من دعائه:**"اللهم كما حسنت خَلْقى فحسن خُلُقي** - [2]، فاستجاب له ربه ثم ذكاه فقال ﷻ: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: ٤].

ولما كان إحسان النبي ﷺ قد بلغ مداه في كل جوانب حياته لزم علي المسلمين الاقتداء به وأن يكون لسان حالهم قبل مقالهم...

يا كل الدنيا اشهدي ::: أننا بغير محمد لا نقتدي

وذلك استجابةً لأمر الله تبارك وتعالى إذ يقول:{لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب: ٢١].

وهذا مثل يروى عن مقتدٍ بالنبى ﷺ في إحسانه و حسن خُلقه وهو جعفر الصادق رضى الله عنه... إذ أساء إليه فتاه يوماً ما فنظر إليه غضباً وغيظاً من صنيعه... فقال له فتاه يذكره بآية من كتاب الله{وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ}، فقال: كظمت غيظي فقال الفتى{وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ}، فقال: عفوت عنك، فقال الفتى:{وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: ١٣٤]، فقال: اذهب فأنت حر، فانظر ماذا فعل الإحسان بأهله إنه جعل الرجل يعتق فتاه بإساءته إليه.

فتمثل بعض ذلك واقتد ::: تنل ما ناله المحسنون وهتدي

(1) رواه أحمد في مسنده وصححه الألباني 1949 ص.ج.
(2) رواه أحمد في مسنده وصححه الألباني 1307 ص.ج.

وسر على درب النبي الذي ::: يقابل بالإحسان حتى المعتدي
فإن أردت للإحسان معنى فإنما ::: نرادف الإحسان دوماً بمحمدِ

وللإحسان ثمار أطايب لا يجنيها إلا محسن ولا يحرمها إلا مسيء منها ما هو في الدنيا فيصفي كدرها... ومنها ما هو في الآخرة، فيؤمن خطرها... ومن هذه الثمار:

*** حب الله ﷻ:**

إن المحسن لا تتوقف عاقبة إحسانه على دنياه وحسب ثم يضيع إحسانه بعد ذلك هباءً. لكنه يفوز الفوز العظيم بحب الله تعالى وكفى بذلك جزاءً ومصيراً.

قال تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ} [البقرة: ١٩٥].

وقال رسول الله ﷺ:**"يحب الله العامل إذا عمل أن يحسن -** (1).

وقال ﷺ:**"إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه -** (2).

فاجعل الإحسان سبيلك إلى حب الله ﷻ فلن تخيب المسعى ولن تعدم الجزاء الأوفى.

*** رحمة خاصة من الله تعالى:**

إن المحسن يكون بإحسانه أهلاً لأن ينال رحمة خاصة من الله تعالى وذلك أن الله ﷻ وإن كان رحيماً بعباده قريباً منهم بفضله إلا أن رحمته أقرب ما تكون من المحسنين خاصة.

قال تعالى:{إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ} [الأعراف: ٥٦].

*** معية خاصة من الله ﷻ:**

إن لله تعالى معية عامة للخلق جميعاً بعلمه أما مع خاصة خلقه فله معية بحفظه ورعايته وستره ومحبته ومن أولئك الخواص المحسنون.

(1) رواه الطبراني وحسنه الألباني 8037 ص.ج.
(2) رواه البيهقي وحسنه الألباني 1880 ص.ج.

قال تعالى:{ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ } [النحل: ١٢٨].

وقال تعالى:{وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ } [العنكبوت: ٦٩].

*** عاجل الجزاء:**

قال تعالى:{ قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ} [الزمر: ١٠].

وقال تعالى:{وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ} [النحل: ٣٠].

فكما أن للمحسن من الجزاء الآجل ما لا يعلمه إلا الله ﷻ فإن له كذلك من الجزاء العاجل ما تقر به عينه في الدنيا جزاء صنيعه وليسلك الناس مثل سبيله... وما أجمل سبيل المحسنين.

قال تعالى في حق يوسف عليه السلام:{ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ } [يوسف: ٢٢].

وقال تعالى في حق موسى عليه السلام:{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ } [القصص:١٤].

فعاجل جزاء الإحسان ليس حكراً على أحد كما بينت الآيتان ولكنه لكل المحسنين وإن اختلف قدره وطبيعته على حسب قدر المحسن وطبيعة الإحسان.

*** الإحسان يبدل عداوة الناس حبا:**

إن الإحسان إلى الناس يجعلهم أشبه بملك اليمين لكنهم مختارون محبون، فإذا ما أحسنت إليهم فأمرك فيهم مجاب وقولك فيهم مسموع وحاجتك فيهم مقضية، بل قد يجعل الإحسان من أعدائك أولياء لك بعد الذي كان منك ومنهم، قال تعالى:{وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ

صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [فصلت: ٣٤ - ٣٥].

*** النظر إلى وجه الله تعالى في الآخرة:**

إن المحسن لينال بإحسانه ما لا يناله أحد غيره في الآخرة ينال ما كل شيء دونه حتى الجنة... ينال النظر إلى وجه الله الكريم، قال تعالى:{لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ} [يونس: ٢٦].

قال أهل العلم: الحسنى: هي الجنة والزيادة هي النظر إلى وجه الله ﷻ، ومن ثم فإن وجوه المحسنين هي تلك الوجوه التي قال عنها رب العزة تبارك وتعالى:{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة: ٢٢، ٢٣].

فهلا نظرت بعد ذلك في صلاتك وزكاتك وفي صيامك وقيامك وفي كل أخلاقك ومعاملاتك.. وهلا تأملت أي ذلك حسن فزدته إحسانا وأيه قبيح فتبت إلى الله تعالى منه وحسنته؟ فإن الله بعدما عدد من نعيم الجنة ماعدد أعقب ذلك بقوله تعالى:{ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ } [الرحمن: ٦٠].

فأحسن فلعل الإحسان يقود خطاك... إلى حب الإله الذي سواك.

ومن آثر القبيح فليحذر أن يكون من المقبوحين وليخش يوما يقول فيه:{لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ} [الزمر: ٥٨].

واعلم أن... أعقل الناس محسن خائف وأحمق الناس مسيء آمن.

{رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ} [البقرة: ٢٠١].

* * *

الله يحب المتقين

قال تعالى:{بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ } [آل عمران: ٧٦].

وقال تعالى:{فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ } [التوبة: ٤].

وقال تعالى:{فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ} [التوبة: ٧].

وقال رسول الله ﷺ:**"خير الناس ذو القلب المحموم واللسان الصادق -.** قيل: ما القلب المحموم؟ قال:**"هو التقي النقي الذي لا إثم فيه ولا بغي ولا حسد -.** قيل: فمن علي أثره؟ قال:**"الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة -.** قيل: فمن علي إثره؟ قال:**"مؤمن في خلق حسن -** (1).

وقال ﷺ:**"إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي -** (2)، وقال ﷺ:**"اتق الله حيثما كنت -** (3).

وقال ﷺ:**"أكرم الناس أتقاهم -** (4).

وقال ﷺ:**"أوصيك بتقوى الله تعالي فإنه رأس كل شيء -** (5).

وقد قيل في التقوى معان كثيرة:

منها: أن يجدك الله ﷻ حيث أمرك ولا يجدك حيث نهاك.

ومنها: أن تجعل بينك وبين عذاب الله وغضبه وسخطه وقاية وذلك بفعل ما أمر واجتناب ما نهى.

ومنها: الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والرضا بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل.

---

(1) رواه بن ماجه وصححه الألباني 3291 ص.ج.
(2) رواه مسلم.
(3) رواه الترمذي من حديث أبي ذر وقال: حديث حسن.
(4) متفق عليه.
(5) رواه أحمد وحسنه الألباني 2543 ص.ج.

ومنها: أن يطاع الله فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر.

ومنها: ألا تفعل فعلاً ولا تقل قولاً تعتذر منه أو تندم عليه غداً.

هذه هي التقوى، فماذا عن صفات المتقين الذين يحبهم الله ﷻ؟

إن الله تبارك وتعالى قد وصفهم في كتابه العزيز وصفا وافيا فقال في بعض وصفهم:{الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ} [البقرة: ١ - ٥].

وقال تعالى:{لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ} [البقرة: ١٧٧].

وقال تعالى:{ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ} [الحج: ٣٢].

وقال تعالى:{وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ} [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٥].

وقال تعالى:{وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ} [الأنبياء: ٤٨ - ٤٩].

وهذه الصفات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم يفسرها على بن أبي طالب كرم الله وجهه.

فيقول لما سئل عن المتقين:

" منطقهم صواب، وملبسهم اقتصاد، ومشيهم تواضع.

غضوا أبصارهم عن محارم الله ووقفوا أسماعهم على العلم النافع.

نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء.

عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم فهم والجنة كمن رآها فهم فيها منعمون.

وهم والنار كمن رآها فهم من عذابها مشفقون.

شرورهم مأمونة، وحاجاتهم من الدنيا خفيفة، وأنفسهم عما ليس لهم عفيفة.

صبروا أياماً قصيرة أعقبتهم راحة طويلة.

أرادتهم الدنيا فلم يريدوها وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها.

لهم قوة في دين وإيمان في يقين.

وحرص على علم، وعلم في حلم، وقصد في غنى، وخشوع في عبادة، وتجمل في فقر.

يمسى أحدهم وهمه الشكر، ويصبح وهمه الذكر.

قرة عينيه فيما لا يزول وزهده فيما لا يبقى.

قريباً أمله، قليلاً زلله.

خاشعاً قلبه، قانعة نفسه، سهلا أمره، مكظوما غيظه.

الخير منه مأمول والشر منه مأمون.

يعفو عمن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه.

مقبلاً خيره، مدبراً شره في الزلل وقور، وفي المكاره صبور.

وفي الرخاء شكور، لا يحيف على من يبغض، ولا يأثم فيمن يحب.

لا يؤذي جاراً، ولا يهتك أستاراً، لا يشح بما يملك، ولا يمن بما يعطي.

يقول فيعمل... ويعمل فيخلص، ويخلص فيشفق ألا يقبل منه.

فانظر في نفسك أين أنت من هذا الوصف لتعلم أمرك وتستبين سبيلك.

أتقي أنت؟ أم أنك تجاهد نفسك لعلك تصل؟ أم أنك على الطريق تسير؟

هل تتقي الله ﷻ كما أمر فقد قال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ } [آل عمران: ١٠٢].

فأي مبلغ من هذا الحق قد بلغت؟ فهل تطيع الله فلا تعصاه؟ وهل تذكر فلا تنساه؟ وهل تشكره فلا تكفره؟

فإن شق الأمر عليك فهل اتقيت الله ﷻ ما استطعت كما أمر؟ فقد قال تعالى:{فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ} [التغابن: ١٦].

واعلم أن الذي أمر ونهى يعلم وسعك واستطاعتك أكثر منك فلا يكلفك إلا ما تطيق ولا يأمرك إلا بما تستطيع.

قال تعالى:{لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ } [البقرة: ٢٨٦].

وقال تعالى:{لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ} [الطلاق: ٧].

وهل استعنت على طلب التقوى بالدعاء واللجوء إلى الله تعالى لتكون من أهلها كما فعل ذلك النبي ﷺ ؟ فقد كان من دعائه:**"اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى** - [1].

ثم هل اتقيت ما يأخذ بك بعيداً عن تقوى الله جل وعلا، فهل اتقيت الظلم ودعوة المظلوم؟

فإن رسول الله ﷺ قال:**"اتقوا دعوة المظلوم فإنها تصعد إلي السماء كأنها**

(1) رواه مسلم.

شرارة - [1].

وقال ﷺ:"**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة** - [2].

وهل اتقيت فتنتي الدنيا والنساء؟

فإن رسول الله ﷺ:"**إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني اسرائيل كانت في النساء** - [3].

أم أنك تركت لنفسك الحبل على الغارب وأتبعتها هواها وأخلدت إلى متع الدنيا الزائلة حتى صارت في قلبك شغله وشاغله فإياك إياك... واعلم أن أولئك هم الفجار، قال تعالى:{أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ} [ص: ٢٨].

فما كان الله ﷻ بعدله وفضله ليسوى بين الصالحين والمفسدين وما كان الله ﷻ بعدله وفضله ليسوى بين المتقين والفجار سواءً محياهم ومماتهم.

وذلك أن التقوى هي الغاية التي من أجلها كنا وكانت السماوات والأرض فإن الله ﷻ ما خلق الخلق إلا ليعبدوه، قال تعالى:{وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦].

وما أمرهم ليعبدوه إلا ليتقوه.

قال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ٢١].

فإن كانت العلة من الإيجاد هي العبادة فإن العلة من العبادة هي التقوى وإلا فكم من مصل لا يصل إلى الله، وكم من مزك لا يزكيه الله،

(1) رواه الحاكم وصححه الألباني 118 ص.ج.
(2) رواه الطبراني وصححه الألباني 101 ص.ج.
(3) رواه مسلم.

وكم من حج حجت عيره أما هو فلا، وكم من صائم حظه من صومه الجوع والعطش ليس إلا.

والتقوى هي وصية الله تعالى لخلقه جميعا، قال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١].

والتقوى هي وصية الله تعالى لكل من آمن به، قال تعالى:{وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا} [النساء: ١٣١].

وقال تعالى:{وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: ١٥٣].

وأمر الله تعالى بها المؤمنين خاصة.

قال تعالى:{فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا} [الطلاق:١٠].

وقال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ } [آل عمران: ١٠٢].

وقال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ} [الحشر:١٨].

والتقوى كذلك وصية رسول الله ﷺ فقد قال:**"أوصيكم بتقوى الله "**[1].

وقال:**"أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب فإن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم "** [2].

ومن أجل التقوى أرسل الله تعالى الرسل مبشرين ومنذرين.

قال تعالى:{ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ

(1) متفق عليه.
(2) رواه ابن ماجة وصححه الألباني 2742 ص.ج.

وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [الأنعام: ٥١].

وقال تعالى:{ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } [الأعراف: ٦٣].

ومن أجل التقوى أنزل الله ﷻ القرآن العظيم.

قال تعالى:{ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا } [طه: ١١٣].

وقال تعالى:{ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } [الزمر: ٢٨].

ومن أجل التقوى حد الله الحدود.

قال تعالى:{تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } [البقرة: ١٨٧].

وقال تعالى:{ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [البقرة: ١٧٩].

ومن أجل التقوى شرع الله العبادات.

قال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [البقرة: ١٨٣].

وقال تعالى:{ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ } [البقرة: ١٩٧].

وقال تعالى:{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ} [الليل: ٥ - ٧].

وقال تعالى:{ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ } [الحج: ٣٧].

وكما أمر الله ﷻ بالتقوى كذلك أمر بكل ما من شأنه أن يوصل إليها من مكارم الأخلاق... من عفو وعدل ونقاء سريرة، فأما العفو فقد قال

تعالى:{وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ} [البقرة: ٢٣٧].

وأما العدل فقد قال تعالى:{ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ } [المائدة: ٨].

وأما نقاء السريرة فقد قال تعالى:{وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ} [المجادلة: ٩].

كما خص الله ﷻ المتقين بالولاية من دون الناس ثم آمنّهم من الخوف والحزن، فقال تعالى:{أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ} [يونس: ٦٢، ٦٣].

وقال تعالى:{إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ} [الجاثية: ١٩].

على أن التقوى ليس لأحد أن يدّعيها أو ينفيها عن أحد فهي من خاصة علم الله ﷻ، قال تعالى:{هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ } [النجم: ٣٢].

وقال تعالى:{ وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ } [آل عمران: ١١٥].

وقال تعالي:{ لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ } [التوبة: ٤٤].

وأشار النبي ﷺ إلى صدره قائلاً:"**التقوى ها هنا** ـ (1). وللتقوى ثمار أطايب لا يجنيها إلا تقي ولا يُحرمها إلا شقي.

ومن أطيب ثمار التقوى:

*** حب الله ﷻ:**

إن الله تعالى يحب عباده الأتقياء أولئك الذين امتلأت قلوبهم بحبه

(1) رواه مسلم.

ففاضت في جوارحهم سمعاً وطاعة لأمره واجتناباً لنهيه، وقد غلبت التقوى على قصدهم فكان نقياً وعلى سعيهم فكان صراطاً سوياً وعلى جهدهم المقل فكان موفوراً ثريا، وما ركنوا يوماً إلي الشيطان لما علموا أن الشيطان كان للرحمن عصيا.

قال تعالى:{بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ} [آل عمران: ٧٦].

*** العلم النافع:**

خير العلوم وأشرفها ما كان متعلقاً بكتاب الله وسنة رسوله، وكل علم تعلمه صاحبه لوجه الله خير، والعلم الذي يرضاه الله ﷻ ويرضى عن صاحبه إنما هو إحدى ثمار التقوى.

قال تعالى:{وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٨٢].

*** معية خاصة:**

إن الله ﷻ مع كل عباده بعلمه يعلم سرهم ونجواهم لكنه مع عباده المتقين برحمته ورعايته.

قال تعالى:{وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ} [البقرة: ١٩٤].

وقال تعالى:{ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ} [النحل: ١٢٨].

*** الفرج القريب والرزق اليسير:**

تقوى الله ﷻ تجعلك أقوى من كل كرب وأغنى من كل فقر

فإن ضاقت بك الأحوال

أو عصفت بك الأهوال

وحسبت أن النجاة مما أنت فيه محال

فاعلم أنه بالتقوى كل الخطوب زوال

وإن كانت في عدد الرمال أو في عزم الجبال

ومن قال بغير ذلك فإنما هو محض جدال

وليعلم كل مجادل أن الله شديد المحال

قال تعالى:{وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا} [الطلاق: ٢، ٣].

وقال تعالى:{وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا} [الطلاق: ٤].

فلا يغرنك ما ترى أحياناً من ضيق في عيش الأتقياء ومن سعة في عيش الأشقياء فإنما ذلك ابتلاء، فما أحسن قول القائل:

عتبت على الدنيا لرفعة جاهل ::: وتأخير ذي فضل فقالت خذ العذرا
بنو الجهل أبنائي لهذا رفعتهم ::: وأهل التقى أبناء ضرتي الأخرى

*** قبول الأعمال:**

كثرة الأعمال ليس شرطاً للقبول فرب أعمال كالجبال وهي لا تزن عند الله شيئاً، وذلك أن الله ﷻ جعل قبول الأعمال مرهوناً بشرط واحد وهو التقوى، قال تعالى:{إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ} [المائدة: ٢٧]، فمن استوفى الشرط فقد فاز ومن طفف فقد علمت ما قيل في المطففين.

*** المنزلة الأسمى عند الله ﷻ:**

إن الله تعالى لم يجعل تفاوت منزلة عباده عنده في الدرجات بمال ولا ولد ولا بحسب ولا نسب، وإنما جعل المنزلة الأسمى والمكانة الأعلى عنده جل شأنه بالتقوى ليس إلا، قال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ} [الحجرات: ١٣].

وقد جاء في الأثر أن الله تعالى يقول لعباده يوم القيامة:"**عبادي تكلمتم كثيراً وأنا أنصت لكم فاليوم أتكلم وأنتم تنصتون، لقد وضعت لكم أنساباً ووضعتم لأنفسكم أنساباً، قلت إن أكرمكم عند الله أتقاكم وقلتم إن**

أكرمكم أغناكم، فاليوم أرفع نسبي وأضع أنسابكم -.

* النجاة من العذاب:

إن الله سبحانه وتعالى خلق النار وجعلها لمن عصاه وخلق الجنة وجعلها لمن أطاعه واتقاه، فلا نجاة من عذابه إلا بتقواه، قال تعالى:{ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا} [مريم: ٧٢].

وقال تعالى:{ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } [الزمر: ٦١].

* عدم استحواذ الشيطان:

إن الإنسان خلق ضعيفاً لا يقوى على أعدائه بذاته لكنه يقوى عليهم بقوة الله ﷻ، إذ لا قوة إلا بالله، فما بالك إن كان عدوك يراك ولا تراه، فلا نجاة لك منه إلا بالله فهو سبحانه بيده نجاتك وأمنك وأمانك.

فالشيطان بكيده ومكره وغوايته لا يقوى على من كان في حفظ الله ورعايته يكشف عن بصيرته، ويقوي من عزيمته، ويلهمه رشده وحجته.

قال تعالى:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ } [الأعراف: ٢٠١].

* دوام الخلة:

يوم القيامة كل الأخلاء يتخاصمون، ومن أخلائهم يفرون ويتبرؤون، فهو يوم لا تنفع فيه الأسباب، ولا تغني فيه الأنساب، إلا ما كان من خلة المتقين لأنها كانت خلة لله وليست لسواه.

قال تعالى:{ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ } [الزخرف: ٦٧]

* التقوى خير لباس:

اعلم أن...

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى ::: تجرد عريانا وإن كان كاسيا
وخير لباس المرء طاعة ربه ::: ولا خير فيمن كان لله عاصيا

واعلم أن...

أفضل ما زودت زاد التقى ::: وشر ما تحمل زاد الأثام
والجسم ينسيه البلى في الثرى ::: ما كان عانى من خطوب جسام

لذلك كله قال تعالى:{ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ } [الأعراف: ٢٦].

* التقوى خير زاد:

إن الله تعالى لم يأمر بالتزود إلا من أمرين أما الأول فهو العلم النافع.

قال تعالى:{وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا} [طه: ١١٤].

وأما الثاني فهو التقوى، قال تعالى:{وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ } [البقرة: ١٩٧].

فمن لم يتزود بالتقوى وقف يوم الميعاد بين يدي الله تعالى بغير زاد في يوم السفر فيه طويل والخطب فيه جليل:

فتب إلى الله مما جنيت ::: وكن منتبهاً قبل الرقاد
أترضى أن تكون رفيق قوم ::: لهم زاد وأنت بغير زاد

* التقوى براءة من الكبر والفساد:

فكيف لتقي أن يتكبر... أو يفسد في الأرض أو يتجبر، إن التقوى وقاية من كل سوء في الدنيا والآخرة، قال تعالى:{تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ} [القصص: ٨٣].

* بالتقوى تضاعف الرحمة ويكشف عن البصيرة:

إن الله ﷻ يضاعف من رحمته لعباده المتقين وإن كانت رحمة واحدة لكافية ويكشف عن بصيرتهم في زمن يتخبط فيه الناس في فتن كقطع الليل المظلم بعضها فوق بعض، قال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ} [الحديد: ٢٨].

*** الأتقياء هم المعنيون برحمة الله:**

إن رحمة الله ﷻ وإن وسعت كل شيء إلا أن للأتقياء رحمة خاصة لم ولن ينازعهم فيها أحد، قال تعالى:{وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ} [الأعراف:١٥٦].

*** بالتقوى تنال الفلاح والرحمة والبركة:**

أما الفلاح فقد قال تعالى:{وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران: ٢٠٠].

وأما الرحمة فقد قال تعالى:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الحجرات: ١٠].

وأما البركة فقد قال تعالى:{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [الأعراف:٩٦].

*** التقوى... الجنة وما فيها:**

قال تعالى:{ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ} [الزمر: ٧٣].

وقال تعالى:{ لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ} [آل عمران: ١٩٨].

وقال تعالى:{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ} [المرسلات: ٤١].

وقال تعالى:{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ} [القمر: ٥٤ - ٥٥].

وقال تعالى:{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ} [الطور: ١٧].

وقال تعالى:{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ} [الذاريات: ١٥].

وقال تعالى:{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ} [الدخان: ٥١].

وقال تعالى:{مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ

وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ } [محمد: ١٥].

وقال تعالى:{مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ } [الرعد: ٣٥].

*** بالتقوى تنال حسن الخاتمة:**

قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ } [آل عمران: ١٠٢].

قال أهل العلم:**"من اتقى الله ﷻ حق تقاته في حياته ضمن الله له ألا يقبضه إليه إلا مسلماً -.**

فإذا حسن البدء بالتقوى حسن الختام بالإسلام.

قال تعالى:{وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا } [النساء: ٧٧].

وقال تعالى:{وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ } [الزخرف: ٣٥].

وقال تعالى:{تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [القصص: ٨٣].

ومن أيسر السبل إلى تقوى الله تعالى التفكر في فضله وقدرته عليك.

قال تعالى:{ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ } [يونس: ٣١].

فإن يمسسك الله بضر فهل من كاشف له إلا هو؟

وإن يردك الله بخير فهل من راد لفضله؟

وإن غضب عليك فهل لك من نصير أو ولي؟

وإن رضى عليك فهل ينالك بأذى شقى؟

فسبحان من يجير ولا يجار عليه

وكل الأمور لا محالة راجعة إليه

فيا من يحدث نفسه ::: بدخول جنات النعيم
إن كنت متقياً فأنت ::: على الصراط المستقيم
لا ترجون سلامة من ::: غير ما قلب سليم
فاسلك طريق المتقين ::: وظن خيراً بالكريم
واذكر وقوفك خائفاً ::: والناس في أمرٍ عظيم
إما إلى ذل الشقاوة ::: أو إلى العز المقيم
فاغنم حياتك واجتهد ::: وأنب إلى الرب الرحيم

نعم اغنم حياتك قبل مماتك وإقامتك قبل ظعنك قبل أن يقول رب العباد لك على رؤوس الأشهاد:

عبدي بأي عين تراني ::: يا من بارزني وعصاني
وبأي وجه تلقاني ::: يا من نسى عظمة شاني
خاب المحجبون عني ::: وهلك المبعدون مني

نعم اغنم حياتك قبل أن يقال لك:

يا لفُجرك ما ادخرت ::: ليوم بؤسك وافتقارك
فلتنزلن بمنزلٍ ::: تحتاج فيه إلى ادخارك
أفنيت عمرك باغترارك ::: وأفناك فيه بانتظارك
ونسيت ما لابد منه ::: وكان أولى بادكارك
ولو اعتبرت بمن مضى ::: لكفاك علماً باعتبارك
لك ساعة تأتيك من ::: ساعات ليلك أو نهارك
فتصير محتضراً بها ::: فتهيأ قبل احتضارك
من قبل أن تسلب النعم ::: ثم تخرج من ديارك
من قبل أن يتشاغل ::: الزوار عنك وعن مزارك

نعم اغنم حياتك يامن غفل وسها:

واعمل لنفسك واستعد ::: ما من ورود الموت بد
قد أبلى الدهر الشباب ::: وما مضى لا يسترد
أما يخاف أخو المعاصي ::: من له البطش الأشد

يومـــــا يعـــــاين موقفـــــا ::: فيـــــه خطـــــوب لا تحـــــد
فـــــإلام ينشـــــغل الفـــــتي ::: في لهـــــوه والأمـــــر جـــــد

{فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا ١٠ رَّسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا} [الطلاق: ١٠ - ١١].

فتقوى الله سبيل إلي فضل من الله لا يدانيه فضل، قال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ} [الأنفال: ٢٩].

وعليك أن تقف مع نفسك وقفة صادقة وتجيب عن هذين السؤالين في كتاب الله جل وعلا...

أما السؤال الأول فيقول الله تعالى:{ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ } [يونس: ٣١].

أجب وأسمع نفسك صوت جوابك... أفلا تتقي؟

أما السؤال الثاني فيقول الله تعالى:{وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٥١ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ} [النحل: ٥١ - ٥٢].

أجب وأسمع نفسك صوت جوابك... أتتقي غير الله؟

{رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ} [الأعراف: ٤٧].

* * *

الله يحب التوابين

قال الله تعالى:{وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة: ٢٢٢].

وقال رسول الله ﷺ:"من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه -[1].

وقال ﷺ:"كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون - [2].

وقال ﷺ:"الندم توبة والتائب من الذنب كمن لا ذنب له - [3].

وقال ﷺ:"والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بخلق يذنبون ثم يستغفرون الله فيغفر لهم - [4].

وقال ﷺ:"لو أن العباد لم يذنبوا لخلق الله خلقاً يذنبون ثم يستغفرون ثم يغفر لهم وهو الغفور الرحيم - [5].

وقال ﷺ:"لله أشد فرحا بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته إذا وجدها - [6].

وكون الله ﷻ تواباً يقتضي أن يكون ابن آدم مذنبا وإلا فعلى من يتوب... وعلى من يجود بعفوه وغفرانه إلا على أصحاب الذنوب.

أما شروط التوبة فيمكن جمعها في شرط واحد وهو استغراق الزمن كالذي استغرقته المعصية... والمعصية قد استغرقت الزمن كله، ماضيه وحاضره ومستقبله، أما الماضي... فقد نسى فيه العاصي حين عصى سابق فضل الله عليه.

(1) رواه مسلم.
(2) رواه الترمذي وابن ماجه وحسنه الألباني 4514 ص.ج.
(3) رواه الطبراني وحسنه الألباني 6803 ص.ج.
(4) رواه مسلم.
(5) رواه الحاكم وصححه الألباني 5243 ص.ج.
(6) رواه الترمذي وصححه الألباني 5032 ص.ج.

وأما الحاضر... فقد نسى فيه العاصي حين عصى اطلاع الله عليه.

وأما الآتي... فقد نسى فيه العاصي حين عصى الله وقوفه غداً بين يديه.

ومن ثم فمن أراد أن يتوب فعليه أن يتوب وتستغرق توبته الزمن كله ماضيه وحاضره ومستقبله.

غير أن الماضي لا سبيل إلى استدراك ما كان فيه فيكفيه الندم، وأما الحاضر فيكفيه الإقلاع عن الذنب وأما الآتي فيستلزم العزم على عدم العودة، وأما ما كان من حق العباد فيرده إليهم ما استطاع التائب إلى ذلك سبيلا، والتوبة ليست على أصحاب الكبائر وفقط وليست على أصحاب الصغائر وحسب وإن كان كل الناس أصحاب صغائر فإن العصمة ماتت بموت النبي ﷺ، بل إن التوبة على كل الناس فرض عين، وكيف لا والمعصوم ﷺ كان يستغفر الله تعالى في اليوم أكثر من سبعين مرة.

على أن ما يجب الإشارة إليه أن استغفاره لم يكن من ذنب ولكنه كلما ارتقى في العبادة وزاد في الطاعة كل يوم عن سابقه كان يستغفر ويتوب إلي الله من الحسن لما بلغ الأحسن، ومن الطيب لما بلغ الأطيب، فهو أخشى الناس لله ﷻ وأتقاهم له وأعلمهم به، ومن ثم فالتوبة لمن دونه أولى- وكل الناس دونه - لذلك قال تعالى آمراً المؤمنين:{وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ } [النور: ٣١].

وقال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ} [التحريم: ٨].

ثم قرن الله ﷻ التوبة بالإيمان وجعل عاقبتهما الفلاح، فقال تعالى: { فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلۡمُفۡلِحِينَ } [القصص: ٦٧].

على أن هناك أمرين في التوبة يجب الإشارة إليهما:

*** أما الأول:**

فعن أولئك الذين يفعلون الطاعات بجوارحهم ولكن قلوبهم غافلة،

تصلي منهم الأجسام والقلوب لاهية، وتصوم منهم الأبدان والعقول ساهية، ويحجون فتلبي ألسنتهم أما قلوبهم فليست ملبية، والمصيبة أنهم يحسبون أنهم على شيء وما هم على شيء " اللهم إلا الغفلة "، وإن قال قائل بتوبة أصمّوا آذانهم وكأن الكلام لابد وأن يكون لغيرهم... وإن هذا لعجب عجاب.

فها هو رجل صالح من السلف وقد بلغ من العمر أرذله وأصابه المرض فأخذ يبكي... فقيل له: أتبكي على الدنيا؟ فقال: كلا بل أبكي على فوت صلاتي... قالوا: كيف ذلك؟ وقد كنت مصلياً؟ قال: لأني بقيت يومي هذا وما سجدت إلا في غفلة، ولا رفعت رأسي إلا في غفلة، وها أنا ذا أموت على غفلة، ثم تنفس الصعداء وأنشد يقول:

تفكرت في حشري ويوم قيامتي ::: وقد صرت وحدى في المقابر ثاويا
فريداً وحيداً بعد عزٍ ورفعةٍ ::: رهينا بجرمي والتراب وساديا
تفكرت في طول الحساب وعرضه ::: وذل مقامي حين أعطي كتابيا
ولكن رجائي فيك ربي وخالقي ::: بأنك تعفو يا إلهي خطائيا

فحذار: {أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ} [الأعراف: ١٧٢].

*** أما الأمر الثاني:**

فكثير من الناس إذا ما تابوا تابوا عن الذنوب التي كانوا عليها قبيل التوبة أما الذنوب التي كانوا عليها منذ زمن فقد تركوها منذ زمن بعيد فلا معنى لكلمة التوبة... هكذا ظنهم، لكن الأمر ليس كذلك.

فلو أن شاباً كان يسرق ثم هداه الله تعالى وأقلع عن المعصية وهو عليها قادر وهو على ما كان يفعل نادم وهو على عدم العودة عازم فذلك الذي يقال عنه تائب، أما ذلك الذي ظل يسرق حتى كبرت سنه وضعف بدنه وقلت حيلته ولم يعد يستطيع للسرقة سبيلاً فإنه في واقع الأمر لم يتب وإنما ترك هذه المعصية وحسب لأنه لم يعد عليها قادراً، كذلك الذي طالما زنى وهتك الأعراض ولكن دارت به الأيام فبلغ مبلغاً من المرض

أو العجز أو الضعف أو الفقر حتى ما عادت ترغب فيه البغايا فما عاد يزني، فإنه في واقع الأمر لم يتب وإنما ترك المعصية لأنه لم يجد إليها سبيلاً... وإلى غير ذلك من الأمثال كثير.

إن كثيراً من الناس تركوا ذنوباً لكنهم لم يعزموا على التوبة منها وإنما تركوها وفقط أو حيل بينهم وما بين ما يشتهون وفقط وظنوا أنهم قد استوفوا شروط التوبة وما استوفوا منها شيئاً.

أما الإقلاع: فما أقلعوا وإنما عجزوا أو ضعفوا أو حيل بينهم وبين معاصيهم.

وأما الندم: فما ندموا بل قد يتباهون بالذي كان من أمرهم في سالف الزمن.

وأما العزم على العودة: فما عزموا وإنما هم إلى ذلك مضطرون مجبرون وغيره لا يملكون.

فلن يعد الشيخ الكبير شاباً فتياً تبتغيه النساء، ولن تعد العجوز الشمطاء يوماً مطمع ومشتهى الرجال:

فيا أيها المذنب المحصى جرائمه ::: لا تنس ذنبك واذكر منه ما سلفا
وتب إلى الله قبل الموت مزدجراً ::: يا عاصياً واعترف إن كنت معترفاً

فانتبهوا يا أولي الألباب... فما زلتم في زمن الإمكان وما زلتم في زمن الإمهال

وتذكروا ما كان من ذنوبكم وتوبوا منها من جديد

حتى وإن لم تعودوا تفعلونها وتركتموها من زمن بعيد

وتذكروا يوماً تعرضون فيه على الله

يوم ينادي عليكم بلسان الحال

أيا عبداً لرب العرش عاصيا ::: أتدري ما جزاء ذوي المعاصيا
سعير للعصاة لها زفير ::: وغيظ يوم يؤخذ بالنواصيا

وما أدراك ما النار؟ كفاها وصفاً أن الله تبارك وتعالى قد نسبها إليه فقال:{نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ} [[الهمزة: ٦]، فهلا علمت من ذلك شأنها.

فإن تصبر على النار فاعصه ::: وإلا فكن عن العصيان قاصيا
وفيما قد كسبت من الخطايا ::: وهنت النفس فاجهد في الخلاصيا

نعم اجهد في الخلاص وما ذلك إلا بتوبة نصوح وليكن لسان حالك

يارب إن عظمت ذنوبي كثرة ::: فلقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلا محسن ::: فبمن يلوذ ويستجير المجرم
أدعوك رب كما أمرت تضرعاً ::: فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم
مالي إليك وسيلة إلا الرجا ::: وجميل عفوك ثم إني مسلم

وإياك واليأس من رحمة الله ﷻ فذلك أعظم من كل ذنب أذنبته وإياك وأن تظن أن عفو الله ومغفرته دون ذنبك، فذلك أعظم من كل ما صنعت بل هو سبيل إلى الكفر.

قال تعالى:{إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ} [يوسف: ٨٧].

والقنوط من رحمة الله سبحانه على الرغم من الذنوب عين الضلال.

قال تعالى:{وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ} [الحجر: ٥٦].

ولا تسأل الله ﷻ العصمة فإنك لن تنالها أبداً فقد دفنت في قبر النبي ﷺ، ولكن اسأله أن يتوب عليك فذاك أجدر أن يجاب، ولذلك يذكر أن أحد العباد كان يسأل ربه في طوافه في البيت الحرام أن يعصمه من الذنوب، ثم غلبته عيناه فنام فسمع قائلا يقول: أنت تسأل الله العصمة وكثير من عباده يسأل ذلك فإذا عصمهم فعلى من يتفضل ويجود بمغفرته وعفوه؟ وعلى من يتوب؟

إن أسماء الله الحسنى لابد وأن يكون لها أثر في خلقه ومن أسمائه جل وعلا أنه التواب وهذا متناف مع العصمة لاشك.

شمر عسى أن ينفع التشمير ::: وانظر بفكرك ماإليه تصير
طالت أمالك يملئها الهوى ::: ونسيت أن العمر منك قصير

قد أفصحت دنياك عن غدراتها ::: وأتى مشيبك والمشيب نذير
دار لهوت بزهوها متمتعاً ::: ترجو المقام بها وأنت تسير
فلا يشغلنك عاجل عن آجل ::: أبداً فلتمس الحقير حقير

ثمار التوبة:

حب الله تبارك وتعالى للتائبين:

إن التوبة من أحب العبادات إلى الله تعالى وأكرمها عليه، قال تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة: ٢٢٢]، ومن محبته للتائبين ابتلى عباده بالذنوب حتى يتوبوا منها إليه ويقبلوا منها عليه ومن ثم ما أغلق دونهم باباً وما جعل بينه وبين عباده التائبين حجاباً، ثم بعد ذلك كله يسأل الله ﷻ الخلق قائلاً:{أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [النور: ٢٢].

فرح الله ﷻ بالتائبين:

إن الله تبارك وتعالى يفرح بعبده حين يتوب إليه فرحاً عظيماً ضرب له النبي ﷺ مثلاً بالواجد لراحلته التي عليها طعامه وشرابه بعدما فقدها في الأرض المهلكة وأيس من أسباب النجاة... فأي فرح هذا؟

فأخلص في التوبة يفرح الله تعالى بك فرحاً لا تدرك معناه إلا يوم أن تلقاه يوماً ما منكم فيه من أحد إلا ويكلمه الله.

التوبة من سبل القبول:

إن مقام الذل والانكسار بين يدي الله جل وعلا مقام جدير بالقبول بإذن الله تعالى، ذلك أني لما تأملت مقامات القبول رأيتها مرهونة بالانكسار بين يدي الملك الجبار، فتلك الصلاة يقول عنها النبي ﷺ:"**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد** - (1). وقال تعالى:{وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب} [العلق: ١٩].

(1) رواه مسلم.

ولماذا القرب مرهون السجود وليس بالقيام أو الركوع؟

لأنه لما وضع أشرف ما فيه على التراب ذلاً وانكساراً لله باريه خلّف هذا عزاً وقبولاً وقرباً من الله تعالى.

- ثم هذا المظلوم الذي لا ترد له دعوة، لماذا؟

لأن ظلم الظالم كسره وأذله فدعى الله تعالى في انكساره هذا وذله فاستجاب الله تعالى له.

- ثم هذا المسافر الذي ترك أهله وماله ووطنه لماذا يستجاب له؟

ذلك أن الغربة كسرته والوحدة أذلته فدعوته أجدر أن تُجاب.

- ثم هذا الصائم له دعوة لا ترد حتى يفطر أو حين يفطر لماذا؟

ذلك أنه كُسرت شهوته ودُلت رغبته فدعوته أجدر أن تجاب.

- ثم هذا المضطر يُجاب إلى دعوته إذا دعى لماذا؟

لأنه ما دعى إلا وقد أذلته حاجته وكسره اضطراره.

- حتى إن الوالد إذا دعا على ولده من قلبه واعياً أجيب إلى دعواه

لأنه ما دعا عليه إلا بما أذله وجحد فضله عليه فاستجاب الله له

- وكذلك التائب إذا ملأ قلبه الذل والانكسار والخضوع لله ﷻ مما قد كان منه من ذنوب ومعاصي في جنب الله تعالى فدعى الله منكسراً خائفاً وجِلاً كان ذلك أجدر ألا تُرد دعواه.

فإذا ما أراد الله بعبد خيراً ألقى في قلبه انكساراً، يعرفه بها قدره ويستخرج منه عجبه وكبره.

واعلم أن أنين المذنبين أحب إلى الله تعالى من تسبيح المّدلين.

فإن ذنباً تذل به لديه خير من طاعة تدل بها عليه.

التوبة سبيل إلى الجنة:

إن العبد قد يعمل الحسنة فلا تزال نصب عينيه وإن قام وإن قعد وإن

ركع وإن سجد حتى تورثه عجباً وكبراً وازدراءً للناس حتى يدخل بها النار، وإن العبد قد يذنب الذنب فلا يزال نصب عينيه وإن قام وإن قعد وإن ركع وإن سجد حتى يورثه انكساراً وذلاً ثم توبة واستغفاراً وندماً وإشفاقاً مما قدم حتى يدخل به الجنة.

بالتوبة تمحي الذنوب وتبدل السيئات حسنات:

قال رسول الله ﷺ: **"التائب من الذنب كمن لا ذنب له** - (1)، فالذي أمر بالكتابة قادر على أن يأمر بمحو ما كتب، قال تعالى: {يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ} [الرعد: ٣٩].

وقال تعالى: {إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا} [الفرقان: ٧٠].

والتبديل يكون في الدنيا والآخرة لأولئك التائبين المخلصين أما الذي في الدنيا فيبدلهم بالزنا عفة وإحصانا، وبالكذب صدقاً وبالخيانة أمانة وبالفحش حياءً وبالرياء إخلاصاً وأما الذي في الآخرة فيبدل سيئاتهم التي عملوها بحسنات فيعطيهم مكان كل سيئة حسنة ويزيدهم من فضله.

ولذلك يروي أبو ذر ﷺ أن النبي ﷺ قال: **"إني لأعلم آخر رجل يخرج من النار، يؤتي بالرجل يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه ذنوبه... ويخبأ عنه كبارها فيقال عملت يوم كذا، كذا وكذا وهو مقر لا ينكر وهو مشفق من كبارها... فيقال أعطوه مكان كل سيئة حسنة فيقول: إن لي ذنوباً ما أراها ها هنا** - (2)، قال أبو ذر فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجزه.

ويقول رسول الله ﷺ: **"ليتمنين أقوام لو أكثروا من السيئات الذين بدل الله ﷻ سيئاتهم حسنات** - (3).

التوبة فلاح في الدنيا والآخرة:

(1) رواه ابن ماجه وحسنه الألباني 3008 ص.ج.
(2) رواه مسلم.
(3) رواه الحاكم وحسنه الألباني 5359 ص.ج.

إن كان الإصرار على المعاصي وعدم التوبة منها ظلم للنفس أي ظلم، قال تعالى:{وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ} [الحجرات: ١١]، فعلى الجانب الآخر فإن التوبة مقرون بها الفلاح في الدنيا والآخرة، قال تعالى:{وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور: ٣١].

بشريات للتائبين:

قال رسول الله ﷺ:**"إن عبداً أصاب ذنباً فقال رب أذنبت فاغفره فقال ربه: أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثم مكث ماشاء الله ثم أصاب ذنباً فقال ربي أذنبت آخر فاغفر لي قال أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثم أصاب ذنباً فقال ربي أذنبت آخر فاغفر لي قال أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليعمل ما شاء -**[1].

وقال ﷺ:**"لله أفرح بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته إذا وجدها -** [2].

وقال ﷺ:**"يجئ يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال يغفرها الله لهم ويضعها علي اليهود -** [3].

وقال ﷺ:**"إن للتوبة باباً عرض ما بين مصراعيه مابين المشرق والمغرب لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها -** [4].

وقال ﷺ فيما يروي عن ربه ﷻ:**"ياعبادي إنكم تخطؤون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم -** [5].

ثم تأمل وتدبر وتفكر في هذه الآيات:

قال تعالى:{قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ} [الزمر: ٥٣].

---

(1) متفق عليه.
(2) رواه الترمذي وابن ماجة وصححه الألباني 5032 ص.ج.
(3) رواه مسلم.
(4) رواه الطبراني وحسنه الألباني 2177 ص.ج.
(5) رواه مسلم.

وقال تعالى:{وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ٢٧ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا } [النساء: ٢٧ - ٢٨].

وقال تعالى:{ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ } [النحل: ١١٩].

وقال تعالى:{وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ } [طه: ٨٢].

وقال تعالى:{إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا } [الفرقان: ٧٠].

وقال تعالى:{ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ } [النساء: ١١٦].

وقال تعالى:{ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ} [التوبة:١٠٢].

وقال تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ} [النجم: ٣٢]، وقال تعالى: {وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ } [الأعراف:١٥٦].

وقال تعالى:{كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ} [الأنعام: ٥٤].

وقال تعالي:{إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا } [النساء:٣١].

وإني لا أجد تعليقاً علي هذه الآيات المبشرات غير قوله تعالي: {ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ }.

* * *

الله يحب المتطهرين

قال تعالى:{لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ } [التوبة: ١٠٨].

وقال تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ } [البقرة: ٢٢٢].

وقال رسول الله ﷺ:**"إذا أراد الله بعبد خيراً طهره قبل موته قالوا وما طهور العبد قال العمل الصالح يلهمه إياه حتى يقبضه عليه** - [1].

وقال ﷺ:**"الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها** - [2].

والطهارة هي النقاء من كل ما يشين ظاهراً وباطناً خلقةً وخُلقاً، قال تعالى:{وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ } [البقرة: ٢٥].

قال أهل العلم مطهرون من كل ما يؤذي في الخلقة أو في الخُلق.

ومن ثم فالطهارة طهارتان طهارة قلب وطهارة قالب فأما طهارة القالب فلها من الأهمية مالها حتى أن المسلم لا تقبل منه صلاة بغير طهارة سواء كانت هذه الطهارة فعلية بالوضوء أو حكمية بالتيمم.

فقد قال رسول الله ﷺ:**"لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ** - [3]، والإسلام في عمومه دين طهارة فليس من الإسلام في شيء أن يكون المسلم رث الهيئة قذر الثياب متغير الرائحة، فالنبي ﷺ كان دائماً طاهر الثوب طاهر البدن على الدوام ولما لا وقد قال له ربه تبارك وتعالى:{وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ} [المدثر: ٤].

(1) رواه الطبراني وصححه الألباني 306 ص.ج.
(2) رواه مسلم.
(3) متفق عليه.

وهو القائل:**"لا يحافظ على وضوئه إلا مؤمن -** [1].

حتى يخرج من أمته من يقول إذا استطعت ألا تذكر الله إلا وأنت على طهارة فافعل، غير أن طهارة القلب وطهارة القالب غير منفصلتين بل إن طهارة القالب سبيل وتذكير إلى طهارة القلب، وقد جمع الله تبارك وتعالى بينهما حين قال:{وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ} [المدثر: ٤، ٥]، فالأولى طهارة قالب والثانية طهارة قلب.

وعامة عذاب القبر يكون بعدم الطهارتين، طهارة القالب وطهارة القلب أما عدم طهارة القالب فصورته الذي لم يكن يستبرئ من بوله وأما عدم طهارة القلب فصورته الذي كان يمشي بالنميمة بين الناس.

ثم تأمل النبي ﷺ وهو يّعلم أمته السبيل إلى الطهارتين فيحث على الوضوء مبيناً أهميته وضرورته لكل مسلم فهو في حد ذاته عبادة فوق كونه طهارة.

فيقول ﷺ:**"إذا توضأ العبد فمضمض خرجت الخطايا من فيه فإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفار يديه فإذا مسح رأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة -** [2].

ثم يزيد ﷺ في التأكيد على ذلك ويقول:**"إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل يديه خرجت من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع**

(1) رواه الحاكم وصححه الألباني 952 ص.ج.
(2) رواه النسائي وابن ماجه وصححه الألباني 449 ص.ج.

آخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب - [1].

ومن ثم فالوضوء طهارة قلب قبل أن تكون طهارة قالب لمن يعي، ثم إذا ما شرع في الصلاة ﷺ وقف بين يدي ربه يناجيه قائلاً:**"اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد -** [2].

وكلها دعوات لنقاء وطهارة القلب الذي هو الغاية.

أما الصلاة فيقول عنها ﷺ:**"مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار على باب أحدكم كثير الماء يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فهل يبقى عليه من الدرن شيء -** [3].

ثم يؤكد ﷺ على ذلك فيقول:**"تحترقون تحترقون فإذا صليتم الصبح غسلتها ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم الظهر غسلتها ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العصر غسلتها ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم المغرب غسلتها ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العشاء غسلتها ثم تنامون فلا يكتب عليكم حتى تستيقظوا -** [4].

وهذا ليس شأن الصلاة وحسب ولكنّا لو تأملنا لرأينا عجباً لرأينا أن العبادات كلها فرضت لتطهر القلوب من كل ما يشوب فإنما فرضت رحمةً وفضلاً وليست مشقة وألماً.

- فأما الصلاة فقد بيّنا ما كان من أمرها.

وأما الزكاة فقد قال عنها ربنا ﷻ:{خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [التوبة: ١٠٣].

(1) رواه مسلم.
(2) متفق عليه.
(3) رواه مسلم.
(4) رواه الطبراني وصححه الألباني 357 صحيح الترغيب.

وأما الصوم فقد وصفه رسول الله ﷺ بأنه:"**وِجاء** - وفي رواية بأنه:"**جُنة** - وكلاهما يعني الحماية والوقاية ومن ثم الطهارة والنقاء وذلك إن صح وخلص.

- وأما الحج فإنه يخلّص القلب من كل العوالق والأدناس إن صح وخلص ولذلك قال رسول الله ﷺ :"**من حج فلم يرفث ولم يفسق عاد من حجه كيوم ولدته أمه** - [1]، أي: طاهراً مطهراً، فسبحان الله العظيم.

الصلاة تطهر والزكاة تطهر والصوم يطهر والحج يطهر علي شرط الصحة والإخلاص، هذا يقين لابد وأن يكون واقراً في القلب - هذا يقين لابد وأن يصدقه العمل.

ومن ثم فالمسلم الذي يوقن أن الله ﷻ مطلع عليه يرى باطنه كما يرى ظاهره حرى به ألا يطهر ما كان للناس ظاهراً من جسده، ثم يترك قلبه والذي هو الغاية مرتعاً خصباً للغل أو الحقد أو الحسد أو الطمع أو كل ما يحول بينه وبين رحمة ربه - تبارك وتعالى - وحبه، فإن الصلاة وإن كانت لا تصح بغير طهارة البدن بالوضوء فإنها كذلك لا تقبل من غير طهارة القلب من خبيث الصفات وسيئ العادات.

ولذلك نؤكد:

على أنه يجب أن نفهم حكمة الوضوء على أنه ليس فقط طهارة للقالب دون القلب وإنما طهارة القلب قد تكون فيه أوضح وأظهر ولكن لأولي الألباب، والدليل على ذلك ما أسلفناه من أحاديث للنبي ﷺ تبين أن الماء ينزل بالموضع من الإنسان فيطهر ظاهره وباطنه.

ومن فهمنا هذا ننطلق إلى فهم آخر لقول الرسول ﷺ:"**الطهور شطر الإيمان** - [2]، وهو أنه كان يعني بذلك طهارة البدن وطهارة القلب معاً.

(1) رواه البخاري.
(2) رواه مسلم.

أما أن يّطهر الإنسان ما الناس مطلعون عليه ويدنس ما الله مطلع عليه فقد جعل الله تعالى أهون الناظرين إليه، فالذي قلبه مدنس بالذنوب والآثام لو غمس في بحر يمده من بعده سبعة أبحر فلن يطهر أبداً، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى، إن كان شطر الإيمان الأول طهارة ونقاء الظاهر والباطن أو القلب والقالب فإنا نفهم شطر الإيمان الآخر أن يمتلئ هذا البدن ظاهراً وباطناً بكل ماهو خير من أمر الدنيا والآخرة، وهل الإيمان إلا ذلك بعد وقرب... بعد عن كل دنس وسوء وشر، وقرب من كل طهر وبر وخير.

ومن ثم فلكي تكون من الأطهار الأخيار فعليك أن تنأى بقلبك عن كل موانع حب الله ﷻ لك.

فما علمنا أن الله تعالى يحب حاسداً، وما علمناه كذلك يحب حاقداً.

وما علمنا أن الله تعالى يحب فاسداً، وما علمناه كذلك يحب جاحداً.

وما علمنا أن الله تعالى يحب أصحاب القلوب اللاهية.

وما علمناه كذلك يحب أصحاب العقول الخاوية.

فبادر بطهر من كل ما يغضب الله ﷻ واعلم:

إن لأهل الذنوب والمعاصي ثلاثة أنهار يتطهرون بها في الدنيا:

أما النهر الأول فالتوبة النصوح

وأما النهر الثاني فالحسنات المستغرقة للذنوب

وأما النهر الثالث فالمصائب المكفرة للذنوب

فإذا أراد الله بعبده خيراً أدخله هذه الأنهار الثلاثة أوبعضها فجاء يوم القيامة طيباً طاهراً لا شيء عليه، ذلك أن النبي ﷺ قال عن التوبة

النصوح:"**التائب من الذنب كمن لا ذنب له** - [1]، وذلك هو النهر الأول واللازم والذي لا غنى عنه لأحد، وقال عن الحسنات المستغرقة للذنوب:"**واتبع السيئة الحسنة تمحها** - [2]، وقال عن المصائب المكفرة للذنوب:"**ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة** - [3].

فإذا ما حُرم شقى هذه الأنهار الثلاثة مجتمعة طهر يوم القيامة في نار جهنم، ذلك أن الطهارة من الذنوب والمعاصي أمر حتمي لا مفر منه إما في الدنيا وذلك خير وإما في الأخرة أعاذنا الله من ذلك.

فانظر في نفسك هل تطهرت بتوبة نصوح، أم أنك فعلت من الحسنات ما تستغرق به الأوزار، أم أنه قد أصابك من المصائب في نفسك وولدك ومالك محتسباً ما يكفي لطهرك، أم أن الله قد جمع لك من كل الأنواع بسابغ نعمه وعظيم فضله؟

إن كان الأمر كذلك فلله الحمد والمنة

وإلا فاحذر فإنك على خطر عظيم دونه كل الأخطار.

وفي استدراج قد يأخذ بك إلى عذاب النار وبئس القرار.

وقد يصيبك قول الله تعالى:{أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ} [المائدة: ٤١]، نعوذ بالله من سوء الخاتمة وسوء العاقبة.

فبادر بطهر فإن للطهارة ثماراً في الدنيا والآخرة سواء ما كان منها للبدن أو للقلب على أن الغاية من طهارة البدن طاهرة القلب وإلا فما عساه أن يفعل الماء في قلوب قد دنستها الآثام، فتأمل هذه الثمار التي ينالها المرء بالطهارتين كلتيهما:

(1) رواه ابن ماجه وحسنه الألباني 3008 ص.ج.
(2) رواه الترمذي وحسنه الألباني 97 ص.ج.
(3) رواه الترمذي وحسنه الألباني 5815 ص.ج.

*** حب الله ﷻ:**

وكفى بذلك الحب جنة ونعيماً فالله ﷻ خص أناساً من دون الناس بحبه وما أدراك ما حبه؟ فقال:{وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ } [التوبة: ١٠٨].

*** صلاة دائمة:**

فالمتوضئ المتأهب للصلاة بطهوره يصدق فيه قول النبي ﷺ:**"لا يزال أحدكم في صلاة مادامت الصلاة تحبسه لا يمنعه أن ينقلب إلي أهله إلا الصلاة"**[1]، وما ذلك بقليل.

*** دعاء الملائكة:**

فقد قال رسول الله ﷺ:**"طهروا هذه الأجساد طهركم الله فإنه ليس عبد يبيت طاهراً إلا بات معه ملك في شعاره لا ينقلب ساعة من الليل إلا قال: اللهم اغفر لعبدك فإنه بات طاهراً** - [2]، وقال ﷺ:**"الملائكة تصلي علي أحدكم مادام في مصلاه الذي صلي فيه ما لم يحدث أو يقم اللهم اغفر له اللهم ارحمه** - [3]. ودعاء الملائكة حرى أن يجاب بفضل الله.

*** مخالفة اليهود:**

فقد قال رسول الله ﷺ:**"طهروا أفنيتكم فإن اليهود لا تطهر أفنيتها** - [4]، ففي الطهارة عموماً نجاة من التشبه باليهود أولئك الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم عذاباً أليماً، وقد قال ﷺ:**"من تشبه بقوم فهو منهم** - [5].

مغفرة الذنوب:

قال رسول الله ﷺ:**"من اغتسل يوم الجمعة فأحسن الغسل وتطهر فأحسن الطهور ولبس من أحسن ثيابه ومس ما كتب الله له من طيب أودهن أهله ثم أتى**

(1) رواه مسلم.
(2) رواه الطبراني وصححه الألباني 3936 ص.ج.
(3) رواه أبو داود وصححه الألباني 6727 ص.ج.
(4) رواه الطبراني وصححه الألباني 3935 ص.ج.
(5) رواه أبو داود وأحمد وصححه الألباني 6149 ص.ج.

المسجد فلم يلغ ولم يفرق بين اثنين غفر الله له ما بينه وبين الجمعة الأخرى - [1].

وقال ﷺ: **"ما من عبد يذنب ذنباً فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر الله له -** [2].

وأخيراً: فمن طهر قلبه سعد في الدنيا والآخرة، ومن دنّس قلبه بأمراض القلوب، وما أكثرها، وعاش على ذلك ومات عليه فما عساه أن يتطهر ذلك القلب إلا في النار وبالنار فما خلقت النار إلا لمثل تلك القلوب القاسية.

" فاللهم اجعلنا من التوابين واجعلنا من المتطهرين "

{رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ} [التحريم: ٨].

* * *

(1) رواه ابن ماجه وصححه الألباني 6064 ص.ج.
(2) رواه أحمد في مسنده وصححه الألباني 5738 ص.ج.

الله يحب الصابرين

قال تعالى:{ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ } [آل عمران: ١٤٦].

وقال رسول الله ﷺ:**"أفضل الإيمان الصبر والسماحة -** [1].

وقال ﷺ:**"النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وإن مع العسر يسرا -** [2].

وقال ﷺ:**"عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له -** [3].

وقال ﷺ:**"إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني غداً على الحوض -** [4].

وقال ﷺ:**"إن السعيد لمن جنب الفتن ولمن ابتلى فصبر -** [5].

وقال ﷺ:**"إن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع -** [6].

والصبر: هو حمل النفس على الرضا بمراد الله ﷻ فيك

والصبر كذلك: حبس النفس عن الجزع والتسخط وحبس اللسان عن الشكوى وعزيمة في الجوارح تعينها على تحمل البلاء والتكليف يقيناً بحكمة الله ﷻ، فقد قال رسول الله ﷺ:**"يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر -** [7].

ولما كان الصبر ضرورة لازمة لكل مؤمن حتى يقوى على القيام

---

(1) رواه البخاري.
(2) رواه الحاكم وصححه الالباني 6806 ص.ج.
(3) رواه مسلم.
(4) متفق عليه.
(5) رواه أبو داود وصححه الألباني 1697 ص.ج.
(6) رواه أحمد في مسنده وصححه الألباني 1706 ص.ج.
(7) رواه الترمذي.

بالتكاليف وتحمل الابتلاءات فإنه في حق الدعاة أولى وفي حق النبي ﷺ أولى وأولى ولذلك كثيراً ما أمر الله ﷻ نبيه بالصبر.

فقال تعالى:{ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ } [غافر: ٥٥].

وقال تعالى:{ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ } [غافر: ٧٧].

وقال تعالى:{فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ } [ق: ٣٩].

وقال تعالى:{ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ } [الطور: ٤٨].

وقال تعالى:{فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا } [الإنسان: ٢٤].

وقال تعالى:{ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ} [يونس: ١٠٩].

وذلك كله لأن الله ﷻ يعلم ما النبي ملاقيه من أذى وابتلاء في سبيل دعوته ولم يكن النبي ﷺ في ذلك بدعاً من الرسل سواء في الابتلاء والأذى أو في الأمر من الله تعالى له بالصبر، ولذلك قال تعالى:{فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ } [الأحقاف: ٣٥].

وقال تعالى:{وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ } [الأنعام: ٣٤].

ولما كان الأنبياء والرسل هم القدوة الحسنة والمثل الأعلى لزم على المؤمنين أن يسلكوا مثل سبيلهم في الصبر وغيره ولذلك كثيراً ما أمرهم الله ﷻ بالصبر في كتابه العزيز.

قال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [آل عمران: ٢٠٠].

وقال تعالى:{وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [النساء: ٢٥].

وقال تعالى:{وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ} [الأنفال: ٤٦].

والله ﷻ لم يأمر بالصبر وحسب ولكنه تعالى أمر الناس أن يوصى بعضهم بعضاً بالصبر لأن الناس كثيراً ما يحتاجون لمن يذكرهم ويقوى من عزيمتهم.

قال تعالى:{ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ} [البلد: ١٧]، وقال تعالى:{وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ} [العصر: ١ - ٣].

ولما كان الركون إلى أهل خُلق تشبهاً بهم أو سبيلاً إلى التشبه سواءً كان هذا الخُلق حميداً أو ذميماً أمر الله ﷻ نبيه أن يصبر نفسه مع الجماعة المؤمنة يقتدوا به ويتشبهوا بمثل أخلاقه حتى لا تفتر عزيمتهم ويجزعوا من شدة البلاء، قال تعالى:{وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا} [الكهف: ٢٨].

والصبر لا يكون إلا بالله:

فليعلم العبد أن صبره إنما يكون بفضل ربه ﷻ لا من عند نفسه وإن لم يصبّره الله فلن يستطيع صبرا، قال تعالى:{ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ} [النحل: ١٢٧ - ١٢٨].

وقال رسول الله ﷺ:"**ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاءً خيراً**

وأوسع من الصبر - [1].

والصبر لا يكون إلا لله:

فالباعث على الصبر لابد وأن يكون محبة الله ﷻ وإرادة وجهه والتقرب إليه وليس إظهاراً لقوة النفس أو طلباً للثناء من الخلق، قال تعالى:{وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ} [المدثر: ٧].

وقال تعالى:{وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ} [الرعد: ٢٢].

والصبر لابد أن يكون مع مراد الله:

فالعبد الصابر يدور مع مراد الله في كل أحكامه في سيره وإقامته، يتوجه معها أينما توجهت ويرتحل معها أينما رحلت وليس في أمر دون أمر ولا في شأن دون شأن ولا في حال دون حال ولكنه صابر في كل أمر وفي كل شأن وعلي كل حال.

أنواع الصبر:

*** أولاً: الصبر على المأمور:**

وهو القيام بالطاعات راضياً محباً مخلصاً، فتلك الصلاة يقول الله تعالى عنها: {وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ}

[طه: ١٣٢].

وليس ذلك شأن الصلاة وحسب وإنما كل ما أمر الله تعالى به فتلك عبادة وجب الصبر عليها، قال تعالى:{رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا} [مريم: ٦٥].

*** ثانياً: الصبر عن المحظور:**

(1) متفق عليه.

وهو الصبر عن المعصية حياءً ورجاءً وخوفاً، حياءً من الله ﷻ أن يراك على معصية وإن دق الأمر فهو عظيم، ورجاءً لما عند الله من نعيم مقيم، وخوفاً مما عند الله من عذاب أليم.

*** ثالثاً: الصبر على المقدور:**

وهو الصبر على الابتلاءات ذلك أن الذي يبتلي إنما هو الله ﷻ والذي هو أرحم بالناس منهم بأنفسهم ولذلك جاء في الأثر: أن الله ﷻ أوحى إلى نبي من أنبيائه:

أنزلت بعبدي بلائي فدعاني فأخرت الإجابة فشكاني

فقلت: عبدي كيف أرحمك من شيء به أرحمك؟

فالبلاء اختبار للصبر، والصبر على البلاء دليل حب ولذلك يقول الله تعالى في الحديث القدسي:**"من أذهبت حبيبته فصبر واحتسب لم أرض له ثواباً دون الجنة -** (1).

ويقول أيضاً:**"ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة -** (2).

ثم يأمر بالصبر على البلاء فيقول جل في علاه:{وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ} [لقمان: ١٧].

ثم يثني جل شأنه على الصابرين قائلاً:{ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ} [الحج: ٣٥].

والصبر الذي قصدناه إنما هو الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه للناس، فالناس لا يملكون صرفاً ولا نصراً... ولا يملكون كشف الضر حتى عن أنفسهم ولا يقلل من الصبر أن تشكو لله تعالى مصابك وأن تظهر له ضعفك وافتقارك ولمَ لا وإمام الصابرين محمد ﷺ اشتكى إلى

(1) رواه البخاري.
(2) رواه البخاري.

الله ﷻ ضعفه

وقلة حيلته مع كونه مأموراً بالصبر الجميل. قال تعالى:{فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلٗا} [المعارج: ٥]، وهذا نبي الله يعقوب عليه السلام الذي قال عن صبره{فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ} [يوسف: ١٨]، ومع ذلك كان يشكو مصابه إلى الله ﷻ قائلاً:{إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ} [يوسف: ٨٦].

ولذلك

إذا ابتليت ببلية فاصبر لها ::: صبرالكريم فإنه بك أعلم
وإذا شكوت إلى ابن أدم إنما ::: تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

فمن الناس من يدعّي أنه صابر على قضاء الله وقدره ثم يتحين الفرص ليشكو الله ﷻ للناس... يشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم!!!

ومن ذلك ما يحكي عن رجل أصابه مرض فجاءه أحد أصحابه يعوده ويسأله عن حاله فقال له ذلك الرجل المريض:

بى حمى جاثية .. نارها حامية

منها الأعضاء واهية.. والعظام باليه

فما كان من صاحبه إزاء هذا التفنن في القنوط والشكوى إلا أن قال له:

لا شفاك الله بعافيه.. ياليتها كانت القاضيه

وليعلم كل مبتلي أن رسول الله ﷺ قال:**"من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ومن أنزلها بالله أوشك الله له بالغنى إما بموت آجل أو غنى عاجل** -[1].

وقال الله تعالى في الحديث القدسي:**"إذا ابتليت عبدي المؤمن فلم يشكني إلى عواده أطلقته من إساري ثم أبدلته لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه** -[2].

(1) رواه أبو داود وحسنه الألباني 6041 ص.ج.
(2) رواه الحاكم وصححه الألباني 4301 ص.ج.

والكيّس الفطن من الناس هو الذي يرضى بقضاء الله ويصبر عليه فليس شراً يدوم وإن دام فإنما هي الحياة الدنيا وكل شر بعده الجنة ليس بشر كما أن كل خير بعده النار ليس بخير.

فلا تجزعن فبعد العسر تيسير ::: وكل شيء له وقت وتقدير
وللمقدر في أحوالنا نظر ::: وفوق تدبيرنا لله تدبير

واعلم أن:

الدهر يومان ذا أمن وذا خطر ::: والعيش عيشان ذا صفو وذا كدر
أما ترى البحر تعلو فوقه جيف ::: وتستقر بأقصى قاعه الدرر
وفي السماء نجوم لا عداد لها ::: وليس يكسف إلا الشمس والقمر

فاصبر قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه الصبر ولا يجدي، وذلك يوم العرض على الله تعالى فلا ينفع يومها صبر الصابرين. قال تعالى:{ فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ } [فصلت: ٢٤].

ذلك اليوم الذي فيه الصبر والجزع سواء بسواء، قال تعالى:{ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [الطور: ١٦]، يومها يوقن قوم بسوء عاقبتهم فيقولوا كما قال الله حكاية عنهم:{سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ } [إبراهيم: ٢١].

فما أحسن الصبر في الدنيا وأجمله ::: عند الإله وأنجاه من الجزع
من شد بالصبر كفاً عند مؤلمة ::: ألوت يداه بحبل غير منقطع

فاصبر أيها المبتلى على قضاء الله تعالى فيك فهو القائل في الحديث القدسي: **"إذا ابتليت عبداً من عبادي مؤمناً فحمدني وصبر على بليته فإنه يقوم من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمه من الخطايا ويقول الرب ﷻ للحفظة: إني قيدت عبدي هذا وابتليته فأجروا له ما كنتم تجرون قبل ذلك من الأجر وهو صحيح** - [1].

ثمار الصبر:

(1) رواه أحمد وحسنه الألباني 4300 ص.ج.

* **حب الله ﷻ:**

فما كان الله ليأمر العبد وينهاه ويبتليه وهو مع كل ذلك وعلى كل ذلك صابر محتسب راض ثم بعد ذلك كله يبغضه، وما تحمل الصابر ما تحمل لأجل ذات المصيبة وإنما لأجل رضى الله تعالى عنه وحبه إياه.

قال تعالى:{وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ } [آل عمران: ١٤٦]، وكفى بذلك فضلاً من الله ونعمة.

* **الجنة بغير حساب:**

وذلك أن الصابرين لما رضوا بقضاء الله تعالى في الدنيا وصبروا على مراده فيهم بلا شكوى ولا جزع فما كان من الله تعالى إلا أن أرضاهم وأدخلهم مستقر رحمته بغير حساب ولا فزع فلا ينصب لهم ميزاناً ولا ينشر لهم ديواناً. قال تعالى:{إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: ١٠].

* **الخير في الصبر:**

سواءاً كان هذا الخير عاجلاً في الحياة الدنيا أو آجلاً يوم القيامة ولذلك يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الصبر مطية لا تكبو، وقيل

فاز الصابرون بعز الدارين. ولذلك قال تعالى:{وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ } [النحل: ١٢٦]، وقال تعالى:{وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [النساء: ٢٥].

وقال رسول الله ﷺ:**"الصبر ضياء - [1]**.

وقال ﷺ:**"ما أعطى أحد عطاء خيراً له وأوسع من الصبر - [2]**.

وقال ﷺ:**"من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله سبحانه وتعالى**

(1) رواه مسلم.
(2) متفق عليه.

على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من الحور العين ما شاء - [1].

* الجزاء بأحسن الأعمال:

فيحصي الله تبارك وتعالى أعمالهم ويجزيهم على أدناها كما يجزيهم على أعلاها تفضلاً منه وذلك جزاء على جميل صبرهم، قال تعالى:{وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } [النحل: ٩٦].

* الإمامة في الدين مقرونة بالصبر:

قال تعالى:{ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ } [السجدة: ٢٤].

وذلك أن الدعوة إلى الله فيها من المشقة ما لا يعلمه إلا الله ﷻ لذلك لزم على كل من يسلك مثل ذلك السبيل أن يتحلى بأمرين:

أولهما، الصبر فإن الداعي إلي الحق سوف يلاقي في دعواه إلى الله ما قد لا تتحمله الجبال الرواسي.

وثانيهما، اليقين في أمرين أما الأول فبما هو معد له عند الله تعالى من ثواب وحسن جزاء وأما الثاني فاليقين بما يدعو إليه.

* معية الله ﷻ:

وتلك معية خاصة وربما يكون ذلك لكون الصابرين تخلقوا بأخلاق الله فقد قال رسول الله ﷺ:**"ليس أحد أصبر على أذى سمعه من الله تعالى إنهم ليدعون له ولدًا ويجعلون له أنداداً وهو مع ذلك يعافيهم ثم يرزقهم** - [2].

ومن ثم لما تخلقوا بأخلاقه ﷻ كان معهم يقوي عزمهم ويحفظهم.

قال تعالى:{وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ } [الأنفال: ٤٦].

وقال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ } [البقرة: ١٥٣].

(1) رواه أحمد في مسنده وحسنه الألباني 6522 ص.ج.
(2) متفق عليه.

* بشرى لأهل الصبر:

قال تعالى:{ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ} [البقرة:١٥٥ - ١٥٧].

* بالصبر تضاعف القوة ويضاعف الأجر:

أما مضاعفة القوة فقد قال تعالى:{فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ } [الأنفال: ٦٦].

وقال تعالى:{كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ} [البقرة: ٢٤٩]..

أما عن مضاعفة الأجر فقد قال تعالى:{أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ } [القصص: ٥٤].

* الصبر أساس لتعلم العلم:

وذلك أن موسى عليه السلام لما أراد مصاحبة العبد الصالح حتى يتعلم منه مما علمه الله ما كان قول العبد الصالح لموسى عليه السلام إلا أن قال:{إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا} [الكهف: ٧٢]، وكأن الشرط الأول لتعلم العلم هو الصبر ثم تليه بعد ذلك شروط وشروط فمن ابتغى العلم فعليه بالصبر فإنها مطية لا تكبو وإن الصابر بعون الله تعالى واصل إلى ما أراد أو إلى ما هو خير مما أراد.

* الانتفاع بالآيات والعبر:

ولا يكون ذلك إلا لأهل الصبر المتبوع بالشكر كقول الله تعالى لموسى عليه السلام:{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ

شَكُورٍ } [إبراهيم: ٥].

وقوله تعالى في أهل سبأ:{فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ } [سبأ: ١٩].

وقوله تعالى:{وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} [الشورى: ٣٢، ٣٣]، " ثم تأمل كيف أن كل كلمة صبار متبوعة بكلمة شكور ".

* **النصر مع الصبر:**

قال تعالى:{وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} [آل عمران: ١٢٠].

وقال رسول الله ﷺ:**"واعلم أن النصر مع الصبر** - [1].

فإذا رميت من الزمان بشدة ::: وأصابك الأمر الأشق الأصعب
فاصدع لربك إنه أدنى لمن ::: يدعوه من حبل الوريد وأقرب

وقد قال الإمام أحمد رحمه الله: الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر، وقديماً قيل:

الصبر مثل اسمه مر مذاقته ::: لكن عواقبه أحلى من العسل
فتصبر أيها العبد اللبيب ::: لعلك بعد صبرك ما تخيب
فكل الحادثات إذا تناهت ::: يكون وراءها فرج قريب

{رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ } [البقرة: ٢٥٠].

* * *

(1) رواه الحاكم في المستدرك.

الله يحب المتوكلين

قال تعالى:{فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: ١٥٩].

وقال رسول الله ﷺ:**"لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطانا -** (1).

وقال ﷺ:**"يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير -** (2).

- والتوكل هو يقين القلب بكفاية الرب، قال تعالى:{أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} [الزمر: ٣٦].

- والتوكل هو تفويض الله ﷻ في كل حال والتسليم إليه في كل قضاء

- والتوكل هو التعلق بالله تعالى في كل شأن والرضا بالمقدور في كل أمر

وسئل يحيى بن معاذ: متى يكون الرجل متوكلاً؟ فقال: إذا رضى بالله وكيلاً.

- والتوكل على الله تعالى عبادة من ناحيتين:

أما الأولى: فهو اعتراف بقدرة الله وعلمه وحكمته وإحاطته بكل الأمور وفي كل الأحوال.

وأما الثانية: فهو إقرار منك بضعفك وعجزك وانكسارك أمام الله تعالى.

- والتوكل على الله تعالى ضرورة لابد منها وليس أمراً اختيارياً وذلك أن الإنسان خلق ضعيفاً لا يقوى بذاته على شيء من شأنه... فكيف بشأن غيره.

قال تعالى:{يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ۚ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا} [النساء: ٢٨].

(1) أخرجه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني 5254 ص.ج.
(2) رواه مسلم.

وقال تعالى:{ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ } [الروم: ٥٤].

ومن ثم فلا مناص من التوكل على الله تعالى في كل شأن وفي كل شيء، لكن من الناس من تعوقه عوائق وتمنعه موانع تحول بينه وبين توكله على الله فلربما يلجأ إلى الخلق الذين هم مثله فيخذله الله من حيث لم يحتسب.

ومن عوائق أو موانع التوكل على الله تعالى:

أولاً: الجهل بمقام الله تعالى وقدرته:

قال تعالى:{ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ } [الحج: ٧٤].

وقال تعالى:{وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الزمر: ٦٧].

إن الله سبحانه وتعالى تفوق قدرته كل القدر وتحيط قوته بكل القوى، الأمر أمره والخلق خلقه والملك ملكه فلو أن الأولين والآخرين سألوا الله ما شاءوا ما أعجزه ذلك وما نقص ذلك من ملكه شيء، فأسلم له واستسلم وتوكل عليه وقل بلسان حالك ومقالك:

فوحقه لأسلمن لأمره ::: في كل نازلة وضيق خناق
موسى وإبراهيم لما سّلما ::: سلما من الإغراق والإحراق

وإن سألت عن نبيك ﷺ فقولي لك:

أما محمداً فلقد بلغ المدا ::: وفي كل جميل الخصال تفردا
فأما التوكل فالطير تابعه ::: وأما الجود فقد فاق الندا
ليقينه أن الله كافيه ::: وكيف يشك والإله تعهدا

ثانياً: الركون إلى الخلق:

منتهى الهوان والخسران أن يستغنى فقير بفقير مثله أو يتقوى ضعيف بضعيف دونه، وإنما اللبيب من استغنى بالغني وتقوى بالقوي

سبحانه.

فاجعل بربك شأن عزك ::: يستقر ويثبت
فإن اعتززت بمن يموت ::: فإن عزك ميت

فلا تسألن الناس أن يعطوك ما يعجزون عنه لأنفسهم وأعلم بأن:

شكوى الفقير إلى فقير مثله ::: عجز أقام بالشاكي على شفا
فاسترزق الله الذي إحسانه ::: عم البرية منّة وتعطفا
والجأ إليه تجده فيما ترتجي ::: ولا تعد عن أبوابه متحرفا

ثالثا: الغرور بالنفس:

وذلك من أشد المهلكات وإن لم يكن أشدها على الإطلاق فقد قال رسول الله ﷺ:**"ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه -** [1].

فيا أيها المغرور علام الغرور... أما زرت القبور؟... أما دخلت الخلاء؟... أما أجهدك البلاء؟... أما رأيت قوياً بعد ما بلغ عتيا؟... أما أنتنتك عرقة؟... أما كادت تميتك شرقة؟

وهل لك من قوة وصمود... إذا ما تقاسمك الدود؟

أما علمت كيف تصير... وأن إلى الله المصير؟

يروى أنه دخل أناس على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وقد تغير لونه وضعف بدنه من كثرة صيامه وقيامه وخوفه من الله ﷻ وهو خليفة المسلمين فأنكروا ذلك عليه مشفقين عليه فقال لهم:**"فكيف لو رأيتموني بعد موتي بثلاثة أيام -.**

وأنت كيف لو رأيت نفسك بعد موتك بثلاثة أيام

إذاً لمات منك الغرور ومات الكبر ::: وأيقنت أنك تتقلب ما بين ضعف وفقر

رابعاً: حب الدنيا والاغترار بها:

قال تعالى:{فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ} [لقمان:

(1) رواه الطبراني وحسنه الألباني 3045 ص.ج.

.[٣٣]

فإياك أن تغتر بدنيا واسمها يكفيها سوءا

فإنه ما نجا طالبها ولا خاب هاربها... ولا فاز راجيها ولا خسر قاليها

هي الدنيا تقول بملء فيها ::: حذار حذار من غدري وفتكي
فلا يغررركم مني ابتسام ::: فقولي مضحك والفعل مبكي

ولو تأملنا أسباب لجوء الناس إلى الناس ودواعي توكل الناس على الناس لوجدناها كلها واهية خاوية

- **فإن قيل: العلم**... فمهما أوتي من تتوكل عليه من الناس من علم فإنما هو قاصر ناقص.

قال تعالى:{وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا } [الإسراء: ٨٥].

وقال تعالى:{ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ} [الروم: ٧].

حتى هذا العلم الظاهر والقليل إنما مرجعه إلى الله ﷻ أقر بذلك الملائكة قال تعالى حكاية عنهم :{ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ} [البقرة: ٣٢].

أما الوكيل الحق فقد وسع علمه كل شيء، قال تعالى:{رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا} [غافر: ٧].

وأحاط علمه بكل شيء، قال تعالى:{وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا } [النساء: ١٢٦]، ولا يعزب عن علمه شيء، قال تعالى:{وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ} [الأنعام: ٥٩].

- **وإن قيل القوة**... فإن الأشياء لتصعب أو تسهل على القائم بها على حسب قوته فرب أمر يسهل على رجل ويصعب على رجال مجتمعين وهذا أمر يعلمه كل بصير.

فإذا ما قارنت كل الأشياء بقوة الله تعالى وجدت كل شيء على الله يسير ولمّا أيقن بذلك النبي ﷺ توكل وأسلم واستسلم لله رب العالمين قائلاً: **"اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت -** [1].

وقال ﷺ: **"اللهم إني استخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب -** [2].

وقال ﷺ: **"اللهم إني أسلمت نفسي إليك وفوضت أمرى إليك وألجأت ظهري إليك وخليت وجهي إليك لا ملجأ ولا منجي منك إلا إليك -** [3].

ولو تأملنا الأسباب الأخرى التي يلجأ من أجلها بشر إلى بشر لوجدناها كلها لا تصح بحال من الأحوال.

- فقد تتوكل على غني لغناه فلا يمسى إلا فقيرا
- وقد تتوكل على عزيز لسلطانه وعزه فلا يصبح إلا ذليلا
- وقد تتوكل على من تظنه مخلصاً فإذا به خائن
- وقد تتوكل على من تظنه صادقاً فإذا به كاذب
- وقد لا يكون ذلك ولا ذلك ثم إذا به ميت

ولذلك قال تعالي: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا} [الفرقان: ٥٨].

- والتوكل على الله تعالى لا يتنافى ولا يتعارض مع الأخذ بالأسباب فإن الذي أمر بالتوكل عليه هو الذي أمر بالأخذ بالأسباب أيضاً، فقال سيروا، وقال جاهدوا، وقال: انفروا، وقال: رابطوا وقال: اعملوا... فمن توكل ولم يأخذ بالأسباب كمن أخذ بالأسباب ولم يتوكل كلاهما مذنب معطل لأمر من أوامر الله تعالى، وكما قال القائل:

(1) رواه مسلم.
(2) رواه البخاري.
(3) رواه الحاكم وصححه الألباني 1269 ص.ج.

توكل على الرحمن في الأمـــر كلـــه ::: ولا ترغبن في العجزيوماً عن الطلـــب
ألم تـــــر أن الله قـــــال لمـــــريم ::: وهزي إليك الجذع تسّاقط الرطـــب
ولو شاء أن تجنيه مـــن غـــير هـــزة ::: جنته ولكن كل شـــيء لـــه ســـبب

فالتوكل إنما هو عمل القلب والأخذ بالأسباب إنما هو عمل الجوارح، وما من عبادة إلا وللقلب فيها عمل وللجوارح فيها أعمال.

وتأمـل:

فتلك الصلاة: القلب يخشع فيها ويتدبر ويخلص لله تعالى متوكلاً عليه والجوارح ما بين ركوع وسجود وقيام وقعود.

وتلك الزكاة: القلب يخشع فيها ويتدبر ويخلص لله تعالى متوكلاً عليه واليد تنفق يميناً ويساراً يسراً وإعساراً.

وهـــذا الصـــيام: القلـب يخشـع فيـه ويتـدبر ويخلـص لله تعـالى متـوكلاً عليـه والجـوارح بـين امتنـاع عـن الحـلال وابتعـاد عـن الـزور واللغـو وفحش المقال.

وهذا الحج: القلب يخشع فيه ويتدبر ويخلص لله تعالى متوكلاً عليه والجوارح ما بين سعى وطواف وذكر وتلبية ودعاء وشكر.

وكذلك كل أمر أمر الله تعالى به أو نهي نهى عنه، للقلب فيه عمل وللجوارح فيه أعمال وبغير ذلك لا يستقيم الأمر فالله تعالى يقول:{فَإِذَا عَزَمْتَ}، أي: تهيأت بالجوارح{فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ}، أي: املأ قلبك يقيناً به مفوضاً له الأمر{إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: ١٥٩]..

وللتوكل ثمار يجنيها كل متوكل على الله ويا لها من ثمار ومنها:

*** حب الله ﷻ:**

التوكل على الله عبادة تحتاج إلى درجة عالية من اليقين ولذلك كان أصحابها من المحبوبين المقربين من الله تعالي، ذلك لأن المتوكل برئ إلى الله من كل ما سوى الله.

قال تعالى:{فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: ١٥٩].

*** التوكل علامة من علامات الإسلام:**

فإن كان الإسلام يعني الاستسلام لله في الأمر كله فالتوكل كذلك هو التسليم لله في كل شأن ومن ثم فالإسلام والتوكل مرتبطان فإن الأول لله والثاني على الله.

قال تعالى:{وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ} [يونس: ٨٤].

*** التوكل علامة من علامات الإيمان:**

إذا كنت على يقين بأن الله تعالى كافيك ومن كل سوء منجّيك كان ذلك دليلاً وبرهاناً على قوة إيمانك.

قال تعالى:{وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ} [آل عمران: ١٢٢].

وقال تعالى:{وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [المائدة: ٢٣].

وقال تعالى:{إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [الأنفال: ٢].

*** الغلبة في التوكل على الله:**

لأن الله تعالى عزيز لا يغلب، قوي لا يقهر، فمن توكل عليه حق توكله كان في معيته ومن كان في معية العزيز القهار لا يهان في حماه، قال تعالى: {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [الأنفال: ٤٩].

*** التوكل على الله حماية من الشيطان:**

فإن كان التوكل يعني أن تبرأ من حولك وقوتك وتلجأ إلى حول الله تعالى وقوته فكيف يكون للشيطان على المتوكلين سبيل؟ قال تعالى عنه: {إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [النحل: ٩٩].

*** حسن العاقبة:**

فهل لمن ترك التوكل على الناس ولجأ إلى رب الناس أن يخذل أو يخيب أو تسوء عاقبته بعد ما رضى بالله وكيلاً، هذا أبداً لن يكون، قال تعالى:{وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ} [الشورى: ٣٦].

*** التوكل على الله ضمان وأمان:**

قال تعالى:{وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ} [الفرقان: ٥٨].

وقال رسول الله ﷺ:**"لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً** - (1).

وقال ﷺ:**"إن الرزق ليطلب العبد أكثر مما يطلبه أجله** - (2).

*** التوكل على الله كاف:**

قال تعالى:{وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا} [الطلاق: ٣].

وتأمل الآية وانظر إلى هذا الجزاء وتلك العاقبة التي فاز بها المتوكل على الله تعالى ولم تكن لغيره، إن الله لم يجعل للمتوكل جزاءً أن تكون الجنة حسبه أو النجاة من النار حسبه ولكن الله ذاته جل جلاله هو حسبه وكافيه، وذلك لأن الله تعالى كان دائماً حسبهم وفي كل أمرهم كان دائماً شأن حالهم ومقالهم{حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ} [آل عمران: ١٧٣].

فحقاً يا من ابتغيت وكيلا... كفى بالله وكيلا... وكفى به هادياً ونصيرا

*** الجنة بالتوكل:**

قال رسول الله ﷺ:**"يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير** - (3).

" قال أهل العلم: متوكلون ".

(1) رواه الترمذي وصححه الألباني 5254 ص.ج.
(2) رواه الطبراني وحسنه الألباني 1630 ص.ج.
(3) رواه مسلم.

*** التوكل نصرة ونجاة:**

فهذا مؤمن آل فرعون لما دعى قومه إلى الإيمان بالله ﷻ فدعوه للكفر به فما كان منه إلا أن فوض الأمر لله متوكلاً عليه.

قال تعالى حكاية عنه:{وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ } [غافر: ٤٤].

فما كان من الله ﷻ إلا أن وقاه شرهم ومكرهم بتوكله عليه وتفويض الأمر إليه، قال تعالى:{ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ} [غافر: ٤٥].

{رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ} [الممتحنة: ٤].

* * *

الله يحب المقسطين

قال تعالى:{وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ} [الحجرات: ٩].

وقال تعالى:{لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ} [الممتحنة: ٨].

وقال تعالى:{وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ} [المائدة: ٤٢].

وقال رسول الله ﷺ:**"إن المقسطين عند الله على منابر من نور الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا -** (1).

وقال ﷺ:**"أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال -** (2).

والعدل ميزان كل شيء لا يحيد عنه ولا يضل إلاظالم لنفسه وللآخرين، والعدل قوام كل شيء.

فإن كان في كتابة دين، قال تعالى:{وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِۚ} [البقرة: ٢٨٢].

وإن كان حكماً بين الناس، قال تعالى:{وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِۚ} [النساء: ٥٨].

وإن كان إشهاداً على شيء، قال تعالى:{وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا} [الطلاق: ٢].

---

(1) رواه مسلم.
(2) رواه مسلم.

وقال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ } [المائدة: ١٠٦].

وإن كان كيلاً أو قولاً، قال تعالى:{وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ } [الأنعام: ١٥٢].

فالعدل لا بد وأن يكون شيمة كل مسلم مع من يحب ومن يبغض سواءً بسواء وفي الرضا والغضب سواءً بسواء ومع القريب والبعيد ومع الغني والفقير سواءً بسواء.

قال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ } [المائدة: ٨].

وقال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا} [النساء: ١٣٥].

* والعدل ميزان الرحمن:

قال تعالى:{وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ} [الأنبياء: ٤٧]، وقال تعالي:{وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ } [الرحمن: ٧ - ٩].

ومن ثم أمر الله ﷻ به في العديد من آيات كتابه العزيز، فقال تعالى: { قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ } [الأعراف: ٢٩].

وقال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ } [النساء: ١٣٥].

وقال تعالى:{ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ } [المائدة: ٨].

وقال تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ} [النحل: ٩٠].

وقال تعالى:{وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ} [الأنعام: ١٥٢].

والعدل أن يستوي لديك السر والعلانية، والغيب والشهادة.

والعدل أن يستوي حكمك في الرضا والغضب مع من تحب ومن تبغض.

والعدل أن يكون رضاك بما أعطاك الله كرضاك بما أخذ منك.

وأن تعلم علم اليقين:

أن الفقير والغني كلاهما بعدل الله وحكمته

وأن المريض والعفي كلاهما بعدل الله وحكمته

وأن الضعيف والقوي كلاهما بعدل الله وحكمته

وذلك أن عدل الله تعالى مطلق ومن ثم فهو يشمل الدنيا والآخرة.

فلا يستطيع أن يدركه بشر بعقله وعلمه القاصرين ذلك أن الأمر لا يقاس في الدنيا وحسب ولكن يقاس في الدنيا والآخرة ولا يعلم ذلك إلا الله جل وعلا ولكن الإيمان به لازم واليقين به واجب.

ومن آيات عدل الله كما أخبر النبي ﷺ:**"أن الجماء لتقتص من القرناء يوم القيامة** - [1]، فسبحان من هذا عدله مع الحيوان.

وفي بداية الخلق لم يخلق الله ﷻ آدم عليه السلام من تربة دون تربة ولكن خلقه من كل تربات الأرض قسطاً وعدلاً فكان آدم من كل أديم الأرض فقد قال رسول الله ﷺ:**"إن آدم خلق من ثلاث تربات سوداء وبيضاء وحمراء -**

(1) رواه أحمد وصححه الألباني 1597 ص.ج.

.[1]

وتلك آية من آيات عدل الله مع الجماد فسبحان من هذا عدله.

حتى الكافر رغم كفره ناله عدل الله ﷻ فقد قال رسول الله ﷺ:**"إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة أما الكافر فيطعم بحسناته ما عمل بها في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها -** [2].

وتلك آية من آيات عدل الله مع الكافرين فسبحان من هذا عدله.

ثم تأمل عدل الله جل وعلا في الزمان فلم يجعل الصلاة في وقت واحد من اليوم ولكن جعلها متفرقة في اليوم والليلة حتى لا يحرم زمن من نصيبه من العبادة وكذلك الصوم والحج مقسمان بين حر الزمان وبرده فتارة يأتيان في الصيف وتارة يأتيان في الشتاء وحتى أن الرجل الذي يبلغ عمره ما بين الستين والسبعين يكون قد صام في كل أيام السنة مرتين وكذلك يكون أدركه الحج في كل أيام السنة مرتين فسبحان من هذا عدله.

أما عدل النبي ﷺ فلم نعلم له مثيلاً في البشر على الإطلاق فقد بلغ في العدل مبلغاً لم يبلغه سواه... فكل مدى في العدل يرنو لمداه، فلمّا قال الله تعالى له :{وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ} [الشورى: ١٥].

فما كان منه إلا أن استجاب لمولاه فسبحان من أبدعه وسواه، فقد يعدل الرجل ما استطاع في حكمه إذا حكم وقد يعدل في أمواله إذا قسم، لكن النبي ﷺ - وفقط النبي - فاق كل ما يخطر على بال حتى أنه كان يعدل في نظره لأصحابه حتى يظن كل واحد منهم أنه قد استأثر بنظر النبي من دون أقرانه وأنه لا أحد أكرم على النبي منه فهل علمت أحداً

(1) رواه ابن سعد وحسنه الألباني 1516 ص.ج.
(2) رواه مسلم.

يعدل في نظره غير النبي؟

كذلك كان عدله في صوته فقد أعطاه الله تعالى ما لم يعط أحداً من العالمين فكان يسمعه البعيد كما يسمعه القريب، فأقرب الناس منه مجلساً وأبعدهم عنه كلٌ يسمعه سواءً بسواء فهل علمت أحداً يعدل في صوته غير النبي؟

أما عدله في العطايا فهذا شيء شرحه يطول فحدث ولا حرج فما منع حقاً قط من صاحبه وما أعطى حقاً لغير صاحبه، فهو القائل ﷺ: **:"فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله -** [1].

وهو القائل :**"والله لا تجدون بعدي أعدل عليكم مني -** [2].

أما عدله ﷺ مع نسائه فإنه لشيء عجاب فالبرغم من كثرة انشغالاته وحروبه وغزواته واتساع دولة الإسلام في كل يوم وهو المرجع لكل مسلم في كل صغيرة وكبيرة وكلٌ يريد أن يختص بالنبي وهو لا يضيق بأحد فيجيب هذا ويزور هذا ويسأل عن هذا وأما أعداؤه فيحارب هذا ويعاهد هذا ويهادن هذا ويقود أمر الأمة ويحمل هم الدعوة بما لا يطيق ذلك أحد غيره.

مع كل هذا لم تشك إحدى نسائه ظلماً قط فقد كان ﷺ كما قال : **"خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي -** [3].

أما عن عدل أصحاب النبي ﷺ فإنهم كلهم عدول وإن كان أشهرهم عمر بن الخطاب ﷺ، أما أشهر السلف فهو عمر بن عبد العزيز ﷺ ولكن وجب أن تعلم أن كلا العمرين وغيرهما إنما هم شموع عدل تضيء من شمس النبي ﷺ.

فالنبي لا يقارن أبداً مع أحد فإنما هو آية وحده في كل صفات الخير

---

(1) متفق عليه.
(2) رواه الحاكم وصححه الألباني 7101 ص.ج.
(3) رواه الترمذي وصححه الألباني 3314 ص.ج.

من عدل وحياء... وجود وسخاء... وأمانة ووفاء...

أما أنت

فهل نظرت بعد ذلك في نفسك؟

وكيف حالك مع أولادك وأهلك؟

وكيف حالك مع الناس من حولك؟

هل تتحرى العدل في الرضا والغضب؟

أم أنه بظلمك قد أصابك العطب؟

فعدلت عن العدل إلى سواه وكنت

كمن أخلد إلى الأرض واتبع هواه

ونسى أن العدل ميزان مولاه

وهل انتصفت لغيرك من نفسك مرة؟

وهل عدلت بين محب وكاره بنفس حرة؟

وهل آثرت العدل وإن كانت عواقب العدل مرة؟

وهل تعدل بين أولادك حتى في النظره؟

إن لم تكن فاعلم أن ميزان الله لا يخطئ الذره

وهل تأملت عدل ذي القوى والقدر؟

وهل تدبرت عدل نبيه سيد البشر؟

حتى توقن أن القاسطين على خطر

وأن المقسطين لهم مالهم من الفوز والظفر

ومن ثمرات القسط:

*** حب الله تعالى:**

إن الله ﷻ حكم عدل يحب المقسطين من الناس، قال تعالى:{وَأَقْسِطُوٓاْ

إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ} [الحجرات: ٩].

ومن ثم جعل لهم يوم القيامة شأناً لا يدانيه شأن ومنزلة لا تقاربها منزلة قال عنها رسول الله ﷺ:**"إن المقسطين عند الله على منابر من نور الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا -** [1].

*** العدل سبيل للبر والتقوى:**

أما البر فقد قال رسول الله ﷺ:**"اعدلوا بين أولادكم في النحل كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللطف -** [2]. فلا تكن عاقاً لولدك بظلمك فيعقك بما جنت يداك.

وأما التقوى فالإنسان أقرب ما يكون إليها حال عدله وأبعد ما يكون عنها حال ظلمه.

قال تعالى:{ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ} [المائدة: ٨].

{رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ} [آل عمران: ٥٣].

* * *

(1) رواه مسلم.
(2) رواه الطبراني وصححه الألباني 1046 ص.ج.

الله يحب المجاهدين

قال تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ} [الصف: ٤].

وقال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ} [المائدة: ٥٤].

ولما سئل رسول الله ﷺ أي الناس أفضل؟ قال:**"مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله - (1)**.

وقال ﷺ:**"رأس الأمر الإسلام من أسلم سلم وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد - (2)**.

وقال ﷺ:**"أحب الجهاد إلى الله كلمة حق تقال لإمام جائر - (3)**.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال أوصني يارسول الله قال:**"عليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام - (4)**.

والجهاد لغة: هو بذل ما في الوسع للوصول إلى غاية في النفس

والجهاد شرعاً: هو بذل غاية ما في الوسع ليحصل ظن بحكم شرعي

ويقول ابن عباس: إن أناساً من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد كانوا يقولون: لوددنا أن الله ﷻ دلنا على أحب الأعمال إليه فنعمل بها فأخبر الله تعالى نبيه أن أحب الأعمال إليه... إيمان به لاشك فيه وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا عن أمره.

---

(1) متفق عليه.
(2) رواه الترمذي وصححه الألباني 5136 ص.ج.
(3) رواه الطبراني وصححه الألباني 168 ص.ج.
(4) رواه أحمد في مسنده وحسنه الألباني 3543 ص.ج.

وقيل أنه لما سأل أناس عن أحب الأعمال إلى الله تعالى أنزل الله قوله: {إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ} [الصف: ٤].

وهذا إخبار من الله تعالى بمحبته لعباده المؤمنين إذا صفوا مواجهين لأعداء الله يقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهر وشريعته هي الحاكمة، وكان من اليسير على الله تعالى - وكل شيء عليه يسير - أن ينصر دينه دون أن تهراق نقطة دم واحدة ودون أن يصاب مؤمن واحد بأذى.

ولكن اقتضت حكمة الله البالغة أن يجعل لعباده المحبين له طريقاً لإظهار هذا الحب، قال تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ} [محمد: ٣١]، وما من طريق أعظم من أن يضحي المحب لله في سبيل الله ويجود بروحه في سبيل رضاه خاصة وأن تلك الروح إنما هي هبة منه تعالى.

والجهاد في سبيل الله ليس فقط ما كان في أرض المعركة وإن كان هو أعلاها درجة وأشرفها مقاماً وأسماها منزلة وأعظمها أجراً مادام خالصاً لوجه الله تعالى فقد قال رسول الله ﷺ: **"واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف -** [1].

ولكن للجهاد أنواعاً عدة حتى إذا لم يتيسر أحدها تيسر الآخر حتى لا يحُرم الناس من الأجر ومن تلكم الأنواع:

الجهاد بالمال:

إن الذي يشح بماله أن ينفقه في سبيل الله ﷻ ثم يدّعي أنه لو كان في زمان أو مكان جهاد لجاهد فإن قوله مردود عليه وإنما هو محض كذب وافتراء.

(1) متفق عليه.

فإن المال ثمرة الجهد والجهد يحتاج لبعض الوقت والوقت إنما هو الحياة فإن كان هذا البخيل يبخل ببعض من بعض من بعض{وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم } [محمد: ٣٨]، فكيف لمن هذا حاله أن يجود بعمره لله؟ هذا محال

ولعل ذلك من الحِكم التي من أجلها ذكر الجهاد بالمال في القرآن الكريم مقدماً على الجهاد بالنفس في مواضع عديدة، قال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} [الصف: ١٠، ١١].

وقال تعالى:{ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ } [التوبة: ٤١]، وغير ذلك كثير.

وليس ذلك لأن الجهاد بالمال مقدم على الجهاد بالنفس وإنما من باب أنه لن يقوى على الجهاد بنفسه من ضعف عن الجهاد بماله، فجاهد بمالك ما استطعت موقناً بقول الرسول ﷺ :"**ما نقص مال من صدقة** - (1)، فذلك أمر أقسم عليه النبي وهو لا يحتاج إلى قسم لعلمه بما يخالج بعض النفوس من شك في هذا الأمر.

واعلم أن الله ﷻ لما أراد أن يبين للناس ثمن الجنة جعل ثمنها الجهادين، الجهاد بالنفس والجهاد بالمال، قال تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ} [التوبة: ١١١].

وعندما جاء رجل إلى النبي ﷺ ليبايعه على الدخول في الإسلام وقال: يا رسول الله علام أبايعك؟ قال:"**قال تشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول**

(1) رواه أحمد وصححه الألباني 3025 ص.ج.

الله، وتقيم الصلاة لوقتها، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتحج البيت، وتصوم رمضان، وتجاهد في سبيل الله -، قال: يارسول الله أما اثنين فلا أستطيع... الزكاة والجهاد أما الزكاة فإني رجل ذو عيال وأما الجهاد فأنا رجل جبان. فقبض رسول الله ﷺ يده بعد أن كان قد بسطها وقال للرجل:"**فبم تدخل الجنة؟** - [1].

وكأنه لم تشفع له صلاته ولا صيامه ولا حجه دون جهاده سواءً كان جهاداً بالنفس في أرض المعركة أو جهاداً بالمال زكاة أو صدقة،{إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ} [النازعات: ٢٦].

الجهاد بالكلمة:

قال رسول الله ﷺ:"**أحب الجهاد إلى الله كلمة حق تقال لإمام جائر** - [2].

فما من متخاذل عن قول الحق وهو يقدر عليه إلا سأله الله ﷻ يوم القيامة:"**عبدي ما منعك أن تقول كذا وكذا يوم كذا وكذا** فيقول: يارب خشيت الناس فيقول الله ﷻ:" **إياي كنت أحق أن تخشى** -.

فرب كلمة حق تصل إلى مالم تصل إليه السيوف

ورب جرئ في الحق يزن عند الله الألوف

فخيرية هذه الأمة إنما بقولها الحق أمراً بالمعروف وقولها الحق نهياً عن المنكر، قال تعالى:{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} [آل عمران: ١١٠].

ثم تأمل هذا الأمر من الله تعالى وتأمل عاقبته، قال تعالى: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [آل عمران: ١٠٤].

فالناس في الدنيا إما أن تقول الحق وإما أن تقول سواه والناس في

(1) رواه الحاكم في المستدرك.
(2) رواه أحمد في مسنده وحسنه الألباني 168 ص.ج.

الآخرة إما مفلحون وإما خاسرون

فالأول للأول والثاني للثاني... فاختر لنفسك فإنك فان.

جهاد النفس:

من الناس من يتمنى لو جاهد بنفسه في سبيل الله يوماً ما وهو لا يستطيع أن يجاهد نفسه هوناً ما، وشتان بين الجهادين.

فمن لم يستطع أن يجاهد نفسه فأنّى له أن يجاهد بنفسه؟ ومن أين له القوة على ذلك وقد اتخذ إلهه هواه يأمره وينهاه، لكن الفطن من الناس من علم أن طريق النجاة أن يزن الأمور على نفسه وهواه.

فإن أحبت النفس كره وإن كرهت النفس أحب.

فإن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم الله فالخير كل الخير في مخالفة النفس.

فقد قال رسول الله ﷺ: **"المجاهد من جاهد نفسه في الله -** (1).

وقال ﷺ: **"أفضل الجهاد أن يجاهد الرجل نفسه وهواه -** (2).

وقال ﷺ: **"حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات -** (3).

واعلم أن للجهاد ثماراً لا يجنيها إلا من جاهد جهاداً أصيلاً

تلك الثمار لا يجنيها جبان أو بخيل

تلك الثمار الزاهد فيها ليس معه من الحب دليل

ومن ثمار الجهاد:

سواء بالمال أو بالكلمة أو جهاد النفس أو جهاد بالنفس.

*** حب الله ﷻ:**

(1) رواه الترمذي وصححه الألباني 6679 ص.ج.
(2) رواه أبو نعيم وصححه الألباني 1099 ص.ج.
(3) رواه مسلم.

وذلك الذي عليه مدار حديثنا فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال:"**إن الله يبغض ثلاثة ويحب ثلاثة -.**

وذكر من الثلاثة الذين يحبهم الله ﷻ"**رجل غزا في سبيل الله خرج محتسباً مجاهداً فلقى العدو فقتل -** (1).

وقال ﷺ:"**ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين وأثرين أما القطرتين فقطرة دموع من خشية الله وقطرة دم تهراق في سبيل الله وأما الأثران فأثر في سبيل الله وأثر في فريضة من فرائض الله -** (2).

وقال ﷺ:"**أفضل الأعمال الإيمان بالله وحده ثم الجهاد -** (3).

*** عمل لا ينقطع وأمان من الفتنة:**

قال رسول الله ﷺ:"**كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله فإنه ينمّى له عمله إلى يوم القيامة ويؤمّن من فتنة القبر -** (4).

فأي فضل من الله هذا وأي إحسان، فالمرابط في مكانة يغبطه عليها الأحياء والأموات على السواء، أما الأحياء فيغبطونه على الأجر الذي يجري عليه وأما الأموات فيغبطونه بالأمان من فتنة القبر.

*** الفلاح والهداية في الدنيا والآخرة:**

أما الفلاح فقال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ } [المائدة: ٣٥].

وأما الهداية فقال تعالى:{وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ } [العنكبوت: ٦٩].

وقال تعالى:{وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٤ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ

(1) رواه الحاكم.
(2) رواه الترمذي.
(3) رواه الطبراني وصححه الألباني 10914 ص.ج.
(4) رواه أبو داود وصححه الألباني 4562 ص.ج.

﴿٥﴾ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ } [محمد: ٤-٦].

أمان من النار ودخول الجنة:

أما الأمان من النار فقد قال رسول الله ﷺ:**"ما أغبرت قدماً في سبيل الله فتمسه النار -** (1).

وأما الجنة فقال الله تعالى:{ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ } [التوبة: ٢٠ - ٢٢].

وقال تعالى:{أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ } [آل عمران: ١٤٢].

وقال رسول الله ﷺ:**"تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته إلا الجهاد في سبيل الله وتصديق بكلماته أن يدخله الجنة أو يرده إلى مسكنه بما نال من أجر وغنيمة -** (2).

*** الأجر العظيم:**

قال تعالى:{وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا} [النساء: ٧٤].

وقال رسول الله ﷺ:**"رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها -** (3)، وقال ﷺ:**"رباط يوم في سبيل الله أفضل من صيام شهر وقيامه -** (4)، وقال ﷺ: **"رباط شهر خير من صيام دهر ومن مات مرابطاً في سبيل الله أمن من الفزع الأكبر وغدى عليه برزقه وريح من الجنة ويجري عليه أجر المرابط حتى يبعثه الله**

(1) رواه البخاري.
(2) متفق عليه.
(3) رواه البخاري.
(4) رواه الترمذي وصححه الألباني 3481 ص.ج.

-[1]، وقال ﷺ:"**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض** - [2]، وقال رجل أي الناس أفضل يا رسول الله؟ قال:"**مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله** - [3].

*** الجهاد برهان على صدق الإيمان:**

قال رسول الله ﷺ:"**ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل** - [4].

وقال تعالى:{إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ } [الحجرات: ١٥].

فأي جهاد جاهدت؟... وليخش على نفسه الذي يلقى الله تعالى بغير جهاد أن يقال له يوم القيامة علام تدخل الجنة؟... علام تدخل الجنة؟

واعلم أن النبي ﷺ قال :"**من ضيق منزلاً أو قطع طريقاً أو آذى مؤمناً فلا جهاد له** - [5].

{رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ} [الممتحنة: ٥].

* * *

(1) رواه الطبراني وصححه الألباني 3479 ص.ج.
(2) رواه البخاري.
(3) متفق عليه.
(4) رواه مسلم.
(5) رواه أبو داود وصححه الألباني 6378 ص.ج.

الله يحب المتبعين

قال تعالى:{قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ} [آل عمران: ٣١ - ٣٢].

وقال رسول الله ﷺ:**"كل أمتي يدخل الجنة إلا من أبى** - قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال:**"من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى** - (1).

إن طاعة الرسول ﷺ واتباعه فرض على كل مسلم ومسلمة وذلك اتباعاً لأمر الله ﷻ.

قال تعالى:{وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ } [الحشر: ٧].

وقال تعالى:{وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } [آل عمران: ١٣٢].

وقال تعالى:{ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ } [الأعراف: ٣].

ويحذر ﷺ من عدم طاعته فيقول:**"لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه** - (2).

وكأن الله ﷻ قد كشف عن نبيه الحجب فرأى ما نحن عليه الآن من أمثال أولئك الجاحدين المنكرين لسنته ﷺ وعلى كلٍ فاتباع النبي ﷺ يحتاج إلى قوة ويقين وعزيمة لا تلين فهو القائل:**"المتمسك بسنتي عند اختلاف أمتي كالقابض على الجمر** - (3).

(1) رواه البخاري.
(2) رواه أحمد وصححه الألباني 7172 ص.ج.
(3) حسنه الألباني 6676 ص.ج.

لكن قد يسأل سائل لماذا نتبع النبي ﷺ؟ أما الجواب فإنا نطيعه ونتبعه لأسباب لا تحصى نذكر منها:

أولاً: أن الرسول ﷺ أعلم الخلق بمراد الله ﷻ:

فكان اتباعه من دواعي العقل والمنطق وذلك دون أن نضع أفعاله وأقواله في ميزان العقل والمنطق وإنما العقل والمنطق هو الذي يقاس على أفعاله وأقواله فإن العقل قد يفسد أو يجهل والمنطق قد يشذ أو يحيد عن الصواب أما النبي ﷺ فمعصوم محال عليه ما يعيب أو ما يسوء.

فهو لا يتكلم من عند نفسه ولكن بوحي يوحى فقد قال له ربه ﷻ: {وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ} [يونس: ١٠٩].

ثم يأمره ربه أن يعلم الناس أنه متبع للوحي، قال تعالى:{قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ } [الأعراف: ٢٠٣].

ثم بين الله تبارك وتعالى للناس أن نبيه لا يملك إلا اتباع الوحي في كل صغيرة وكبيرة من أمر الدين، قال تعالى على لسان نبيه:{إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ } [يونس: ١٥].

فهو مستقيم كما أُمر غير متبع لذي هوى كما نُهى، وإلا فمن عساه ينصره ومن عساه يتولاه وهو الذي قال له ربه:{وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ} [البقرة: ١٢٠].

ثم تأمل هذا الأسلوب القوي في آيات لا تحتمل غيره، قال تعالى:{وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ} [الحاقة: ٤٤ - ٤٧].

أفبعد هذا الحديث حديث؟ وهل بقي احتمال لأن يتّقول النبي ﷺ ولو بعض الأقاويل على الله ثم الله تاركه بعد هذا الوعيد الشديد؟

ومن ثم فكل الذي جاء به النبي ﷺ حق خالص لا يشوبه باطل وعلم

خالص لا يشوبه جهل وصدق خالص لا يشوبه كذب.

فما أدركته عقولنا مما جاء به حمدنا الله عليه وقبلناه وعملنا به ما استطعنا وما لم تدركه عقولنا قلنا: سمعنا وأطعنا وقبلناه وعملنا به ما استطعنا.

فإن كان أحداً لا يسأل الطبيب عن التركيب الكيميائي للدواء قبل أن يتناوله ولكنه لما وثق في علمه سلم نفسه إليه وهو راض مطمئن فإن منع الحلو أجابه وإن أعطى المر أجابه، وإن أمر ابتدر أمره وإن نهى اجتنب نهيه مع أن الطبيب - على علمه - ذو علم قاصر فإنما علمّه بشر يخطئ ويصيب أما النبي ﷺ فعلمه من لدن حكيم عليم، قال تعالى:{وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا } [النساء: ١١٣].

وقال ﷺ:**"إني لأتقاكم لله وأعلمكم به -** (1).

وقال ﷺ:**"والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي -** (2).

فكان حقاً على المؤمنين أن يقولوا:

{رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ } [آل عمران: ٥٣].

عسى أن يقول لهم النبي ﷺ يوم القيامة:{فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ} [إبراهيم: ٣٦].

ثانياً: أن طاعة الرسول واتباعه أحد شرطين لقبول الأعمال:

أما الشرط الأول: فهو أن يكون العمل خالصاً لوجه الله تعالى:

قال تعالى:{فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ} [الزمر: ٢، ٣].

فلا يقبل الله من الأعمال إلا ما كان خالصاً لوجهه تعالى دونما شركاء فهو القائل في الحديث القدسي:**"أنا أغني الشركاء عن الشرك من عمل**

(1) رواه البخاري.
(2) رواه مسلم.

عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه - [1].

فليصل المصلى ما شاء ويحج الحاج ما شاء ويصوم الصائم ما شاء وليأت بأفعال الخير كلها ما شاء فلا يُقبل من ذلك كله شيء إلا ما كان خالصاً لوجه الله تعالى.

وأما الشرط الثاني: فهو أن يكون العمل متبعاً لسنة النبي ﷺ:

فما من سبيل لمن أراد الوصول سالماً إلا خلف النبي ﷺ، قال تعالى: {قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [المائدة: ١٥، ١٦].

أما من ابتغى سبيلاً غير سبيله وآثر إلا المخالفة فيوشك أن تتفرق به السبل وتتشعب به الطرق فلا يصل إلى هدف ولا يحقق أمل وإنما الضلال البعيد مصيره ومنتهاه بما قدم على طاعة النبي هواه.

قال تعالى: {وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: ١٥٣].

فالمخالفة عن سبيل الرسول ﷺ وعدم اتباعه تعني سوء المصير ولا نصير.

قال تعالى: {وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا} [النساء: ١١٥].

فمن أحق أن يُتبع إذا لم يتبع النبي الذي جاء بالهدى من عند رب العالمين، قال تعالى: {قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} [يونس: ٣٥].

ولقد جمع الله ﷻ شرطي القبول في آية واحدة، فقال تعالى: {فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا} [الكهف: ١١٠].

---

(1) رواه مسلم.

فالعمل الصالح هو ما كان على هدى النبي ﷺ والعمل الخالص هو الذي لم تشبه شائبة شرك مع الله ﷻ، ومن ثم:

فلا يقبل الله عملاً من مبتدع ولو كان مخلصاً

ولا يقبل الله عملاً من متبع من غير إخلاص

أما صورة المبتدع فيروي أن أحد الأئمة رأى رجلاً يعّذب نفسه بالوقوف في الشمس فسأل عن حاله فقالوا: إنما يفعل ذلك ابتغاء وجه الله فقال فهلا جعله في طاعة يعني متبعاً لا مبتدعاً، وكمن صلى الصبح ثلاثاً أو أربعاً قصداً فلا سبيل لقبوله لأنه لا سبيل لأحد أن يأتي بخير مما جاء به النبي ﷺ وأما صورة غير المخلص فصورته الذي أنفق حتى يقال عنه جواد ومن قرأ القرآن حتى يقال إنه قارئ ومن قاتل أعداء الله حتى يقال عنه شجاع فأولئك أول من تسعر بهم النار ذلك بأنهم أرادوا غير وجه الله، فقد قال رسول الله ﷺ: **"إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار** - [1].

ثالثاً: أن طاعة الرسول واتباعه إنما هي طاعة لله وشرط للإيمان:

إن كل طاعة لغير النبي ﷺ قد تجني من ورائها خيراً وقد تجني من ورائها شراً، أما طاعته ﷺ فهي خير وفقط وذلك أنها عبادة محضة وطاعة لله ﷻ خالصة، قال تعالى:{مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا } [النساء: ٨٠].

وقال رسول الله ﷺ :**"من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصي الله** - [2].

ثم يبين ذلك النبي ﷺ قائلاً:**"يوشك أن يقعد الرجل متكئاً على أريكته يحدث بحديثي فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه**

(1) متفق عليه.
(2) متفق عليه.

وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله - [1].

بل إن الأمر ليصل إلى أن تكون طاعة النبي ﷺ شرطاً من شروط الإيمان، قال تعالى:{ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا } [النساء:٦٥].

وقال تعالى:{وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } [الأنفال: ١].

رابعاً: أن طاعة الرسول هي السبيل إلى حب الله ﷻ:

فكل طاعة لغير النبي ﷺ قد تجلب لصاحبها حب من يطيعه وحسب لكن طاعة النبي وحده هي التي عليها مدار حب الله تعالى ومن أحبه الله فقد بلغ مقاماً دونه كل مقام ومنزلة دونها كل منزلة، قال تعالى:{ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [آل عمران: ٣١].

خامساً: أن الخير كله في طاعة النبي واتباعه:

وأول هذا الخير الكثير، الهداية إلى الصراط المستقيم، قال تعالى:{قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ } [النور: ٥٤].

وقال تعالى:{فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } [الأعراف: ١٥٨].

وقال رسول الله ﷺ:**"تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض -** [2].

وثاني هذا الخير، هو ضمان الحماية من الله ﷻ لمن اتبع نبيه ﷺ، قال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ } [الأنفال: ٦٤].

ومن كان الله حسبه فهل يخشى أحد غيره ولو جمعت له الجموع، إلى

(1) رواه أبو داود وصححه الألباني 8186 ص.ج.
(2) رواه الحاكم وصححه الألباني 2937 ص.ج.

غير ذلك من أبواب الخير التي ما ترك منها باباً إلا ودل عليه وأرشد إليه وكفى بقوله تعالى:{وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا } [النساء: ٦٩].

سادساً: لأن رسول الله ﷺ أكمل الخلق فإن لم يُتبع فمن يُتبع:

فصفات الخير كلها فيه قد اجتمعت وتفرقت فيمن سواه

فترى من الناس من هو صادق ومنهم من هو أمين

ومن الناس من هو تقي ومنهم من هو حيي

ومن الناس من هو جواد ومنهم من هو شجاع

لكن كل تلك الصفات وغيرها كثير كثير قد اجتمع في النبي ﷺ على أجمل وأكمل ما يتصوره عقل أو يخطر على قلب بشر.

فأعدل الناس عدله دون عدل رسول الله

وأصدق الناس صدقه دون صدق رسول الله

وأجود الناس جوده دون جود رسول الله

وأشجع الناس شجاعته دون شجاعة رسول الله

وكيف لا وهو الذي زكّاه ربه فقال تعالى:{وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ} [القلم: ٤].

فقد كان **دائم البشر سهل الخلق ليس بفظ ولا غليظ.**

وكان **لا يؤيس منه راجيا ولا يخيب فيه مؤمّلاً.**

وكان **لا يذم أحداً ولا يعيبه ولا يطلب عورته ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه.**

وكان **يصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته.**

وكان **لا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهي أو قيام.**

وكان **أبغض الخُلق إليه الكذب.**

وكان **أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس.**

وكان **أشد حياءً من العذراء في خدرها.**

وكان طويل الصمت قليل الضحك.

وكان رحيماً وكان لا يأتيه أحد إلا وعده وأنجز له إن كان عنده.

وكان لا يسأل شيئاً إلا أعطاه أو سكت.

وكان يجلس على الأرض ويأكل على الأرض.

وكان لا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين والعبد حتى يقضي له حاجته.

وكان يذكر الله في كل أحواله.

وكان أحسن الناس خُلقاً.

وكان خُلقه القرآن.

ثم بعد ذلك كله هو :{رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [التوبة: ١٢٨]، فهل مثل ذلكم النبي ﷺ لا يتبع؟

فحقاً{اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} [الأنعام: ١٢٤].

فكيف وهو القائل ﷺ:**"لو نزل موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم، أنا حظكم من النبيين وأنتم حظي من الأمم -** [1].

ولا يتأتى اتباع النبي ﷺ إلا من خلال محبته فمحبته منزلة يجب أن يتنافس فيها المتنافسون وإليها يشخص الناظرون ولها يعمل العاملون، فمن حرمها فهو من جملة الأموات وإن كان يغدو ويروح فالنبي ﷺ هو أولى الناس بالحب عقلاً علاوة على كونه أولى الناس بالحب شرعاً.

فإن كان الإنسان منا يحب من منحه في دنياه معروفاً فانياً في دنيا فانية منقطعة وكذلك يحب من أنقذه من مهلكة أو مضرة قد لا تدوم، فما بالك بمن منحك منحاً لا تعد ولا تبيد ولا تزول ووقاك بفضل الله تعالى

(1) رواه البيهقي وحسنه الألباني 5308 ص.ج.

من مهالك لا تنقضي، فلذلك استوجب النبي المحبة التي دونها حب الولد والوالد والناس أجمعين بل دونها حب النفس أيضاً، فله محبة وتقدير وإجلال لا يسمو إليها أحد ولا يطمع فيها والد ولا ولد.

وذلك الحب كان شأن أصحاب النبي ﷺ لم يتخلف عن حبه إلا منافق معلوم النفاق أو حاقد بيّن الحقد أو حاسد ظاهر الحسد، أما المؤمنون والمؤمنات فكانوا في حبه سواء... رجالاً ونساء، ونسوق لكليهما مثلاً أو مثلين.

أما الرجال فمثلهم ثوبان ﷺ مولى رسول الله ﷺ وقد كان شديد الحب لرسول الله قليل الصبر على البعد عنه فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه ويعرف الحزن في وجهه فقال له الرسول ﷺ :"**ما غير لونك ياثوبان** - فقال: يارسول الله مابي مرض ولا وجع غير أني إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم ذكرت الآخرة فأخاف ألا أراك لأنك ترفع مع النبيين وإني إن دخلت الجنة ففي منزلة أدنى من منزلتك وإن لم أدخل الجنة لا أراك أبداً.

فأنزل الله تعالى قوله:{وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا } [النساء: ٦٩].

فتأمل ماذا فعل حب النبي بالرجل إنه رفع درجته إلى حيث لم يحتسب ولم يخطر له على بال.

ومثل آخر: زيد بن الدثنه ﷺ وذلك لما هم أهل مكة بقتله بعدما أمسكوا به أسيراً بعد الهجرة فقال له أبو سفيانَ - وكان إذ ذاك مشركاً - أنشدك بالله يا زيد أتحب أن محمداً عندنا الآن نضرب عنقه وأنك في أهلك سالماً، فقال زيد ﷺ والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وأني جالس بين أهلي فقال أبو سفيان ما رأيت أحداً من الناس يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً.

فانظر ماذا فعل الحب بالرجل إنه لم يقدم قتله على قتل النبي ولكن قدم قتله على أن تصيب النبي ﷺ شوكة ولو كذب الرجل لينجو بنفسه ما عليه من ذنب ولا لوم عليه ما دام قلبه مطمئناً بالإيمان ولكن غلبه الحب لما امتلأ به القلب ففاض صدقاً على اللسان فلم يبال بما يلاقي بعد ذلك من قتل أو عذاب أو هوان.

أما مثل حب النساء للنبي ﷺ فإنه لامرأة من الانصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحُد، فلما أخبروها الخبر واحداً بعد الآخر فما كان قولها في كل مرة إلا أن تقول: ما فعل رسول الله. قالوا خيراً هو بحمد الله كما تحبين.

فقالت: أرونيه أنظر إليه فلما رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل يارسول الله أي: صغيرةَ.

فتأمل ماذا فعل الحب بالمرأة وهي أقل صبراً من الرجال وأضعف، لقد أنساها حبها للنبي وخوفها عليه حزنها على أقرب الأقربين فلم تسأل عن أب أو أخ أو زوج لأنها أيقنت أن نجاة رسول الله ﷺ نجاة لها ولأهلها وإن هلكوا وهلاك رسول الله هلاك لها ولأهلها وإن نجوا.

نعم إن سلم رسول الله فكل الناس قد سلموا

فاسأل نفسك هل تحب النبي ﷺ؟

فإن كنت تحبه - ونحسبك كذلك - فإن للحب علامات وإن للحب أمارات فالأمر أكبر من أن يكون قولاً فقط باللسان أو ادعاء بلا برهان.

فتأمل بعض تلك العلامات حتى تستبين سبيلك وتعلم أين أنت من حب رسول الله وأين رسول الله من قلبك؟

*** علامات حب النبي ﷺ:**

1- الرضا والتسليم بما حكم:

قال تعالى:{ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ

لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا } [النساء: ٦٥].

فلن يذوق طعم الإيمان إلا من حكّم الله ورسوله على نفسه قولاً وفعلاً، أخذاً وتركاً، حباً وبغضاً، منعاً وعطاءً، وكان ذلك كله بنفس راضية لا ضيق ولا ضجر.

ومن لم يرض برسول الله حكماً عدلاً فمن عساه يرضى حكماً أيرضى قوماً قد تمكنت منهم الأهواء فعميت عليهم الأنباء وصاروا يرون الباطل حقاً والحق باطلاً والمتمسك بأمر دينه متخلفاً جاهلاً.

قوم قد اختلطت لديهم المفاهيم فالحرية عندهم إباحية والعبودية عندهم تزمت وتعصب ورجعية.

قال تعالى:{وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا} [النساء: ٢٧].

وقال تعالى:{وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ} [الأنعام: ١١٦].

أما النبي ﷺ فهو الأسوة الحسنة التي أمرنا الله ﷻ باتباعها.

قال تعالى:{ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا } [الأحزاب: ٢١].

2- نصرته بالفعل والقول:

قال تعالى:{فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ } [الأعراف:١٥٧].

فنصرته بالدفاع عن شريعته والتمسك بسنته والتخلق بأخلاقه واقتفاء أثره فتلك نصرته ﷺ وإن كان الله على نصره لقدير، قال تعالى:{إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ } [التوبة: ٤٠].

3- التسلي عن كل مصاب بمصابه:

فقد قال رسول الله ﷺ:"**إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبته بي فإنها**

أعظم المصائب - [1].

وقال ﷺ:"يا أيها الناس أيما أحد من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعز بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري فإن أحداً من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي - [2].

فكان الرجل من أصحاب النبي ﷺ إذا أصابته مصيبة ذكّروه بمصابه في فقد النبي ﷺ فينسى مصابه أياً كان هذا المصاب وكذلك يجب أن نكون، على أنه لن يستشعر فقده إلا من استشعر وجوده أولاً شرعة ومنهاجاً وأخلاقاً.

4- كثرة الصلاة عليه:

قال تعالى:{ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا} [الأحزاب: ٥٦].

وقال رسول الله ﷺ:"البخيل من ذكرت عنده ولم يصل عليّ - [3].

وقال ﷺ:"من ذكرت عنده فخطئ الصلاة عليّ خطئ الطريق إلى الجنة - [4].

وقال ﷺ:"من صلى عليّ حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي يوم القيامة - [5].

وقال ﷺ:"أكثروا الصلاة عليّ فإن الله وكل بي ملكاً عند قبري فإذا صلى عليّ رجل من أمتي قال لي ذلك الملك يامحمد إن فلان ابن فلان صلى عليك الساعة - [6].

وقال ﷺ:"أكثروا الصلاة عليّ في يوم الجمعة فإنه ليس يصلي عليّ أحد يوم

(1) رواه الطبراني وصححه الألباني 347 ص.ج.
(2) رواه ابن ماجه وصححه الألباني 7879 ص.ج.
(3) رواه الترمذي وصححه الألباني 2878 ص.ج.
(4) رواه الطبراني وصححه الألباني 6254 ص.ج.
(5) رواه الطبراني وصححه الألباني 6357 ص.ج.
(6) رواه الديلمي وحسنه الألباني 1207 ص.ج.

الجمعة إلا عرضت عليّ صلاته - [1].

وقال ﷺ:"صلوا عليّ واجتهدوا في الدعاء وقولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد - [2].

5- التأدب عند ذكره ﷺ:

وذلك بإظهار وإضمار الخشوع والخضوع والتوقير والتقدير عند سماع اسمه كما لو كان النبي ﷺ بين يديك فقد كان من السلف من يرق قلبه ومنهم من يقشعر جلده ومنهم من ينسكب دمعه عند ذكر النبي ﷺ، وكان الإمام مالك إذا جاءه من يسأله عن حديث رسول الله ﷺ لبس أحسن الثياب وتطيب بأحسن الطيب فلما سُئل عن ذلك قال: أتدرون بحديث من أتحدث؟ إني أتحدث بحديث رسول الله ﷺ.

فما بال أناس من المسلمين يدعونه محمداً هكذا بلا نبي ولا رسول ولا صلاة ولا سلام وقد حرّم الله ﷻ ذلك بقرآن يتلى إلى يوم القيامة، قال تعالى:{ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ} [النور:٦٣].

وقال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ} [الحجرات: ٢ - ٣].

6- شدة الشوق إليه ﷺ :

وكيف لا نشتاق إليه وهو الذي قال عنا :"إن أناساً من أمتي يأتون بعدي يود أحدهم لو اشتري رؤيتي بأهله وماله - [3]. وكيف لا نشتاق إليه وهو الذي قال عنا:"وددت أنا قد رأينا إخواننا - قالوا: أولسنا إخوانك؟ قال:"بل

(1) رواه الحاكم وصححه الألباني 1209 ص.ج.
(2) رواه النسائي وصححه الألباني 3783 ص.ج.
(3) رواه الحاكم وحسنه الألباني 2008 ص.ج.

أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد - [1].

وقد كان خالد بن معدان وهو من التابعين لا يأوي إلى فراشه إلا وهو يذكر من شوقه لرسول الله ﷺ وإلى أصحابه رضوان الله عليهم ويقول: هم أصلي وفصلي وإليهم يحن قلبي طال شوقي إليهم فعجل رب قبضي إليك، وذلك كل ليلة حتى يغلبه النوم.

ولما حضرت بلال ﷺ الوفاة قال غداً نلقى الأحبة محمداً وصحبه وكأنه ﷺ كان فرحاً بالموت أو كذلك كان وذلك أن الحياة هي التي تحول بينه وبين من يحب، تحول بينه وبين رسول الله ﷺ وصحبه الأخيار.

فهل تشتاق إلى النبي اشتياق حبيب لحبيب؟

وهل تطمئن نفسك بذكره وتهدأ وتطيب؟

وهل تود لو رأيته بأهلك ومالك؟

بل بكل ما تشرق عليه شمس وتغيب؟

فهو القائل:**"من أشد أمتي لي حباً ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله -** [2].

فاجعل من حب النبي وطاعته واتباعه سبيلاً يصل بك إلى حب الله ﷻ فإنه سبيل لا يخيب سالكه وباب لا يُرد طارقه.

فمن أراد النجاة من غير ذلك هلك

ولن يصل إلى غايته ولو كل طريق سلك

فالله أعطى لنبيه ما بعد الحب فهو خليله

فمن أراد حب الإله فالنبي سبيله

فكن من أتباعه تسعد في الدنيا ويوم التناد

---

(1) رواه مسلم.
(2) رواه مسلم.

فكأني به الآن ينادي على كل العباد

ياقوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد

ثم تأمل هذه الآيات بقلب واع وعقل منتبه ترى فيها العجب العجاب... ترى فيها فضلاً عظيماً من الله ﷻ على نبيه ومن اتبعه.

قال تعالى:{وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [الأعراف: ١٥٦ - ١٥٧].

وكفى بذلك بشارة بفوز ونجاة لمن أطاع واتبع ثم تأمل هذه الآيات أيضاً بقلب واع وعقل منتبه ترى فيها عجباً، قال تعالى:{ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا} [الفرقان: ٢٧، ٢٨].

وقال تعالى:{ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا} [الأحزاب: ٦٦].

وكفى بذلك نذارة بخسران وهلاك لمن عصى وخالف.

{رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا} [الفرقان: ٦٥].

* * *